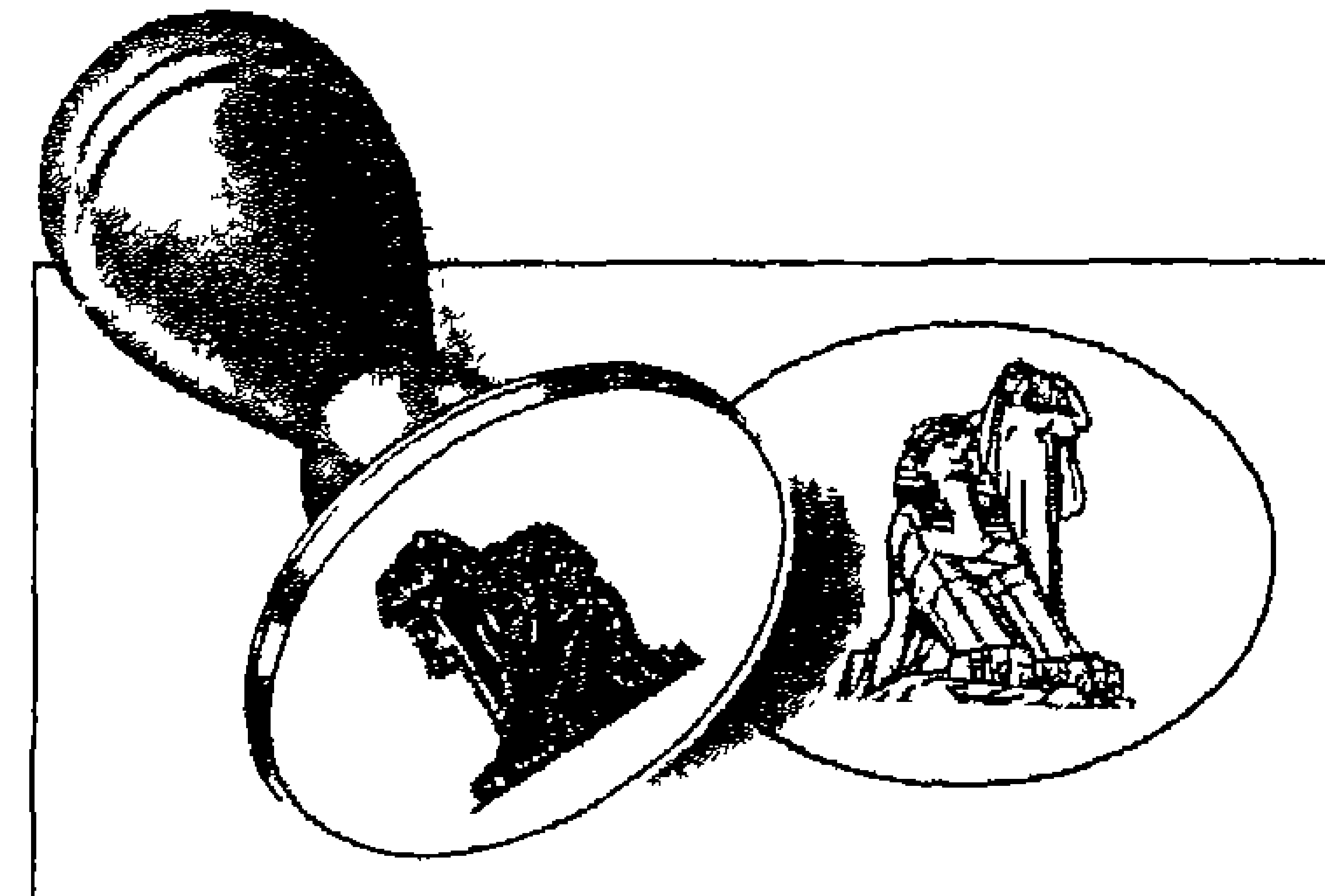

أنيس منصور
اللهم إني سائح
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
Bibliotheca Alexandrina
02202603

أنيس منصور



مقــــالات





اسم الكتـــاب	اللهم إني سائح
اسم المـؤلـف	أنيس منصور
إشـراف عـام	داليـا محمد إبراهيم
تاريخ النشـر	طبعة أولى يونية ١٩٩٧
	طبعة ثانية أكتوبر ١٩٩٩
رقم الإيـداع	١٣٢٣٨ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى	I . S . B . N 977 - 14 - 1088 - 1
النـاشـر	نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
	مدينة السادس من أكتوبر .
	ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطـوط).
	فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة.
	ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥
	فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص.ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشـر	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة .
	ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤
	فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص.ب: ٢٠ إمبابة .

كلمة أولى ..

اللهم إنى سائح - بين الأشياء والنبات والحيوان والناس . . بين الذى أراه تحت الميكروسكوب والذى أراه أمام التلسكوب . والذى لا أراه ولكن أحسه فى عقلى وقلبى . . اللهم إنى دائخ وراء عظمتك وحكمتك وما أودعت فى الحياة من قوانين ، وفى كل حى . . وفى كل ما ليس حيا أيضا . .

إنى لا أمل الفرجة على فيلم عندى عن (الخلية الحية) فأنا بين لحظة وأخرى أقول : الله . . ما أعظمك . . ما أحكمك . . ما أغناك ما أروعك يا الله . . ما هذا الذى فى داخل خلية واحدة . . ما هذا الذى فى جزء على ألف . . وفى جزء على مليون ألف مليون . . وعلى مليون مليون . . مهما تجزأت الخلية . . الوحدة ، فهناك قوة تحركها وتفرض عليها قوانين القدرة الإلهية . . كيف؟

إننا ننبهر عندما نعرف أن مصنع سيارات ينتج ألفا أو عشرة آلاف سيارة فى اليوم أو حتى فى الساعة . . ما قيمة هذا إذا ما قورن بملايين البيض والحيوانات المنوية التى تتدفق من السمكة ومن الإنسان وكل واحدة منها كائن حى كامل . . عنده استعداد فورى لأن يكون كائنا فيه كل صفات الأب والأم . . لا الصفات الجسمية والعقلية . . كيف ؟ ورأيت فيلما فرنسيا بالصوت والصورة عن سباق الحيوانات المنوية نحو البويضة . . وهذه الحيوانات فيها

عيوب أيضا . . ومن الممكن أن تنتقل هذه العيوب إلى البويضة . . كيف هذا ؟ رأيت فيلما عن كيف تجىء الميكروبات والفيروسات والأوبئة من الفضاء الخارجى إلى الأرض . . إنها تجىء عبر أحجار تسقط على أرضنا من الفضاء كل ساعة أو كل سنة أو عشرة آلاف أو كل عشرين مليون . كيف يكون الفيروس عمره ألف أو خمسة آلاف مليون سنة ؟ كيف ؟

إن أهون ما نراه هو الذى ندركه بعيوننا أما الذى لا نراه إلا تحت الميكروسكوب والتليسكوب وفى أنفسنا فهو الأعظم والأروع . . . آمنت بالله !

أنيس منصور

هنا تعلمنا

هل تأذن لى بالكتابة إليك كقارئ عادى؟ فمنذ زمن وأنا أتطلع نحو حلم يطاردنى . ويظل يطاردني ولم أجد مخرجا لنفسى سوى أن أستعين بك وأعمل معك من أجل تحقيقه . فى بلدتنا المنصورة ـ كانت دار الكتب الجميلة ، التى لابد أنك استمتعت مثل كل مثقفى المنصورة بموقعها الجميل وبنائها الأنيق وكتبها التى غمرتنا ونحن بعد صغار بفيض من المعارف لم أزل أستمتع به . التتار سطوا على هذا المبنى . استحوذ عليه الاتحاد القومى وما تلاه من أسماء ، واقتنص مجلس المدينة قسما منه ـ وأطاحوا بكتبه بعيدا ، بعثروها وربما بددوها . .

فهل نستطيع أن نفعل شيئا لنستعيد للمنصورة منارتها الفكرية العتيدة ، أن نستعيد المبنى ، وأن ندعو أبناء المنصورة للتبرع لإعادة الوجه الحضارى إليه وأن نجمع فيه قدر ما نستطيع من كتب فنوفى دينا مشتركا فى أعناقنا جميعا نحو هذا المكان ؟ أتمنى أن تتبنى هذه الحملة . وأتمنى أكثر أن تعتبرنى واحدا من مساعديك فيها . وأعدك بأن أبذل كل ما أستطيع من جهد مادى ومعنوى فى هذا الصدد . فهل نوفى لبلدتنا بعضا من دين؟

رفعت السعيد

أمين عام حزب التجمع

التقدمى الوحدوى

هكذا أبناء الدقهلية ـ فمن الذى لا يحبهم أو يتعصب لهم . لا فى حماسهم للثقافة فقط ولكن للعلوم والإصلاح وعشقهم لأهلهم وجمال بلادهم وتاريخها العريق . . ياسيدى العزيز إن محافظ الدقهلية اللواء إبراهيم الشيخ وأمين الحزب الوطنى الأستاذ محمد البلتاجى يتعجلان وضع حجر الأساس لمكتبتين كبيرتين فى بلادنا أما الأموال فليست مشكلة . والأرض أيضا . المكتبة الأولى باسم المصلح الكبير على باشا مبارك والمكتبة الثانية باسمى أنا . . وعلى نيل المنصورة توجد مكتبتان وسوف توجد ثالثة . . ومع وضع حجر أساس لمكتبة ــ سوف نضع تمثال أم كلثوم فى جزيرة الورد . : أما التمثال فقد كمل تماما وارتفع عاليا شامخا ـ كما كانت أم كلثوم ولاتزال . ولهذا التمثال شقيق سوف يوضع فى حديقة الأوبرا . .

وقد قال لى الوزير الفنان فاروق حسنى إنه سوف يتقدم المحتفلين بالتمثال والمكتبتين عندما يفرغ الفنان من إكمال قاعدته الأنيقة الفخمة . .

أما إنك تعرض مساعدتك فلا شك فى صدقك وإخلاصك وحبنا جميعا لبلادنا الجميلة وأهلها الطيبين المثقفين . فلا تقلق ياسيدى فسوف ندق بابك ونستعجلك ولن نتردد جميعا فى إسعاد أهلينا والامتنان لهذا البلد . .

عضوا رهابى!

الطريق الذى بدأه السادات لن ينتهى بإسحاق رابين . وكما أنه لا يمكن إلغاء جائزة نوبل لأن الحاصلين عليها يثيرون الغضب العنيف ، فكذلك لا يمكن العدول عن السلام . والطريق صعب ولا يزال . فالشعوب تريد الحياة وتنشد الأمان وتحرص على أن توفر على أبنائها وأحفادها عذاب الآباء والأجداد ولمئات السنين .

ولأول مرة يغتال اليهود زعيما لهم هو إسحاق رابين (٧٣ سنة) .

وهو أول زعيم إسرائيلى يولد فى إسرائيل وأبوه أمريكى جمهورى وأمه روسية .

وليس هذا هو أول اعتداء على رابين أو أول لفت نظر لدعاة السلام فى إسرائيل كلها . فلقد اعتدى يهود أمريكا على سفير إسرائيل بالضرب والطوب والبصق ولكن رابين لم يستوعب دلالة هذا الاعتداء . . فكانت الرصاصات التى أصابته ، اثنين فى صدره ورصاصة نفذت من ظهره . . والرصاص يقتل الأشخاص ولكنه لا يغتال الأفكار . . فيسقط رابين ويعيش السلام أملا وهدفا وأسلوبا فى الحياة ـ وسوف يبقى كذلك . .

والحكومة الإسرائيلية برياسة بيريز حكومة شرعية لها كل الحقوق فى المضى فى السلام واتخاذ القرارات المصيرية ولا تقال ولا يستقيل منها أحد ولا تطرح الثقة بها .

إنها حكومة شرعية لها كل الصلاحيات ، إلا إذا رأى الكنيست التعجيل بالانتخابات التى سوف تجرى فى العام القادم .

ومأساة إسرائيل أكبر وأفدح من أطماع المعارضة فى القفز على الحكم .

ولأن الذى حدث لم يسبق له مثيل فسوف يكون للمعارضة موقف يرقى إلى مستوى المأساة . فتتحد كل الأحزاب ، على اختلافاتها الحادة ، وراء الحكومة ووحدة الشعوب اليهودية فى الداخل وفى كل دول العالم . .

وعلى الرغم من أن القاتل معترف وغير نادم ، فلن ينفذ فيه حكم الإعدام ، فالإعدام ممنوع دستوريا ودينيا . ولذلك لابد من تعديل الدستور حتى يلقى القاتل جزاء من جنس العمل . .

ومن ٤٨ عاما تحاول إسرائيل أن تغرس وتعزز نفسها فى أسرة الشرق الأوسط . ولكنها لم تقصد أن يكون اغتيال زعمائها هى البوابة الحزينة لقبولها عضوا فى هذه العائلة الدموية !

ليس قليلا

فى مباراة سخيفة . . أو مذبحة هادئة جلسنا نحصى عدد اللصوص الذين نعرفهم شخصيا . وانتقلنا إلى عدد اللصوص المشاهير . . يعنى إيه ؟

لقد وقعنا فى المحظور وهو أن كل غنى لص . وكل ناجح غشاش . وأنه لا يوجد واحد قد كسب بعرقه وذكائه . ولا يوجد أحد قد مشى على قدميه وإنما محمول على أكتاف الآخرين . وهذه الأكتاف قطاع عام ، لمن يدفع أكثر وأسرع . يعنى إيه ؟

يعنى أن الدنيا قد اسودت أمامنا . . وتطينت أمام الأجيال القادمة . وإذا كنا قد ورثنا هذه الدنيا مصنوعة من الزفت فقد تركناها كوكتيلا من الزفت والطين ومحفوفة باليأس والظلام ـ أعوذ بالله! فإذا كان هذا حال الناس عندما يجلسون معا . فما الذى يجب أن نعمله نحن لا من أجلنا فقط وإنما من أجل غيرنا من الأجيال القادمة؟ لا إجابة عن هذا السؤال إلا إذا أجبنا عن سؤال أخر ربما أهم . وهو : هل لنا دور؟ والجواب : نعم . وهل هذا الدور إيجابى . . أو بعبارة أخرى : هل الذى نقوله يلقى صدى ، وإذا كان له صدى فكيف يكون إيجابيا ؟ أما أن واجبنا أن نقول ، فلاشك فى ذلك . وان نحاول أن نفتح العيون والآذان بقوة الكلمة والعرض المسرحى والتليفزيونى فهذا ما يفرضه علينا الواجب والضمير الأخلاقى . . أن نقول . . وألا نسكت .

أما أين يذهب الذى نقول ؟ فهذه هى المشكلة ، ولكن فى نفس الوقت لاشىء يذهب هباء . هل تريد أن تعرف أين يذهب الكلام والنكتة والكاريكاتير والفضيحة المسرحية ؟ اجلس إلى أحد المسئولين وأنت ترى الوجع والألم والصداع الذى تسببه الكلمات لقد جلست بالصدفة فى أسبوع واحد إلى ستة من كبار المسئولين . وكانت شكواهم من الذى قرءوا والذى سمعوا . .

يعنى إيه؟ يعنى أن الكلام ذهب إلى مكانه الصحيح وأوجع الدماغ والقلب . والنتيجة أن المسئولين يصلحون أخطاءهم . لاشك فى ذلك . ولكنهم لا يحبون أن يقولوا إنهم فعلوا ذلك بسبب مقالة فلان أو نكتة علان . المهم أن اختلافا ما قد حدث قليلا أو بطيئا سرا أو علنا . المهم أنه حدث ويحدث وسوف يحدث . هذا أقصى ما نستطيع . . وليس هذا بالقليل !

أقفوا الطريق !

كثرت المهرجانات الغنائية ـ أو من أجل أغنية أفضل أو أجمل ـ صوتا وأداء وموسيقى وأن ترعى الدولة ذلك لا بأس أيضا .

ففى ذلك جدية وإعلان لدور الدولة فى تشجيع المواهب الشابة فى التأليف الأدبى والموسيقى والغنائى . من يدرى ربما ظهر لنا صوت واحد جميل أو مؤلف بديع . فمن أجل موهبة جديدة يجب أن نبذل كل ما نستطيع . . فإن لم تظهر الموهبة وحدها ، ذهبنا لها وأعطيناها كل منافذ الظهور والوصول إلى آذان الناس . وهذا هو الدور التاريخى الذى تؤديه مصر منذ أيام سيد درويش والحامولى وعبد الحى . ويسعدنا أن تقوم بهذا الدور وزارات الثقافة والإعلام والسياحة والصناعة والتموين .

إنه مثل دورنا الريادى فى الأدب والفكر والفن والسياحة والسياسة أيضا !

وسوف نقدم قريبا مهرجان (أم كلثوم للأغنية) أيضا بإشراف ورعاية وزارة الثقافة . إنها مناسبة سنوية متجددة لاكتشاف المواهب المصرية . وبدلا من أن يذهب الشبان يتسكعون على أبواب الإذاعة والصحف لعل احدا أن يرى ويسمع ، فإن هذا المهرجان سوف يدعوهم ويختار لهم الكلمة الحلوة والنغمة والصورة . وسوف نساعد المواهب المصرية على الظهور والاستمرار .

ومن الممكن أن نفعل ذلك أيضا فى الأدب : فى القصة والرواية والمسرحية والقصيدة . يجب أن تخلق المناسبات لكى تظهر المواهب الجديدة . يجب ألا ننتظر وإنما نسارع ونلتقى فى منتصف الطريق موفرين الجهد والعذاب على الشباب فى خطواتهم الأولى ـ الخطوات الأولى ـ والباقى عليهم وعلينا أيضا .

وفى مجال الاختراع يجب أن نمد أيدينا إلى أصحاب الأفكار الجميلة والتطبيقات المتواضعة . . يجب أن نذهب إليهم . أن نسندهم . . أن نرفعهم ليرفعوا مصر بعد ذلك . . إن الذى تفعله اليابان وأمريكا وألمانيا وفرنسا للمخترعين هى ملاحم من السخاء والحب . . لأنه لا تقدم بغير نور . والنور فى العقول ـ والعقول هى الشابة دائما . . والتاريخ يكتسبه الشباب الجرىء فلنفسح الطريق للجرأة والأمل !

مخك : لغز !

هناك نظرية بأن المخ هو الجهاز الوحيد الذى لا يجدد نفسه ، والذى ليس له بديل . . فأعضاء كثيرة فى الجسم الإنسانى يمكن استبدالها ـ إلا المخ . . أى إلا مليون مليون خلية !

والمخ هو أعقد وأصعب جهاز خلقه الله فى هذا الكون . ولا أحد يعرف حتى الآن كيف يعمل؟! ولا أحد يعرف كيف يتم تكوين هذا المخ فى الجنين فى بطن الأم ؟!

ولم نعرف حتى الآن إن كانت هناك خلية واحدة عبقرية تسيطر على بناء الجنين وعلى تكوين المخ بالذات . نحن لا نعرف .

وكل الذى وصل إليه العلم الحديث هو وصف للنشاط الكهربى فى داخل المخ وتسجيل للموجات والوميض فى داخل سراديبه وكهوفه . وفى نفس الوقت لا يوجد أى فارق بين مخ العبقرى ومخ العبيط . ولا نعرف حتى الآن أين تكمن العبقرية فى المخ الإنسانى . إن هذا الجهاز هو أكبر لغز فى فزورة فى مشكلة فى معضلة فى معجزة يحملها الإنسان على كتفيه ، هذه المعجزة تدير حياته وتدير دنيانا من حولنا وتتطلع إلى الكون فوقنا ـ يعنى إيه؟

يعنى آمنت بالله الذى لاحدود لعظمته وقدرته الإبداعية إلى مالا نهاية فى كل شىء ابتداء من الذرة وانتهاء بالمجرة !

ولكن دراسة الطيور المهاجرة قد كشفت لنا شيئا جديدا . فقد سجل عالم وزوجته عن ملاحظة الطيور المهاجرة ووضع أيزوتوب (نظائر مشعة) فى داخل مخها أن هذه الطيور تجدد بعض خلايا المخ .

وفى هذه الخلايا تنقل المعلومات القديمة عن الطعام وأين تجده وعن الأماكن التى تهاجر إليها هذا العام . . تماما كما تقوم بنقل معلومات من شريط إلى شريط قديم إلى شريط جديد . . إن هذه الطيور تفعل ذلك . . وكذلك الطيور التى فى الأقفاص تجدد خلايا المخ وتقوم بتحديث ما اختزنته فى الذاكرة من معلومات . .

شىء غريب لاحظه العالم الأمريكى ميتلبوم وزوجته أنات بارنياع أن الطيور تسقط خلايا المخ القديمة وهى طائرة . لعله نوع من الاقتصاد فى الطاقة ـ أى أن الطائر المحمول جوا يجب أن يكون وزنه أخف فلا يأكل ولا يشرب ثم إنه يطرد الخلايا الفارغة فى المخ حتى يكون أخف وزنا وأقل استهلاكا للطاقة !

فهل الإنسان كذلك ؟ أى أنه يجدد نوعا من خلايا المخ كلما اقتضت الضرورة . . وأنه أيضا يقوم بتحديث معلوماته أولا بأول . لا إجابة حتى الآن !

فالمخ اللغز يستعصى فهمه على أى مخ إنسانى . . أو الكترونى حتى الآن !

إنها مشكلتنا !

ما الذى يمكن عمله للترشيد أو للاقتصاد فى استهلاك الماء . . الماء الذى نشربه والذى نروى به الأرض؟

أن نكون عقلاء . وهذا هو أصعب ما فى الموضوع . ولذلك لابد أن نبحث عن طريق أسهل . .

بريطانيا قد وجدت بعض الحلول فى مواجهة الجفاف الذى أصابها هذا العام وحلا لمشكلة إهدار ٢٠٪ من المياه يوميا . . من ضمن الحلول انها طلبت إلى الناس أن يكونوا عقلاء فى استهلاك ماء الاستحمام . وسوف يكونون عقلاء . ولكن الدولة تريد حلول عملية لا تعتمد فيها على مزاج الناس .

وفى نفس الوقت لا تخلق مشكلة بين المواطنين وشركات المياه - لأن المياه والكهرباء والسكك الحديدية ليست ملكا للدولة .

(لا تنس أبدا أنه فى يوم من الأيام كانت الدولة المصرية تبيع ساندوتشات الفول والطعمية والسمك المقلى! فضيحة طبعا فلا هى شيوعية ولا اشتراكية ولا رأسمالية ولازملكاوية ولا أهلاوية أمال إيه؟ حاجة تفضح كده !)

فطلبت الحكومة الإنجليزية من شركات المياه تركيب عدادات قبل دخول المياه إلى البيوت وطلبت إعادة تركيب حنفيات صغيرة . وأهم

من ذلك تركيب دش صغير ولم يعترض أحد . ولكن هذا يحتاج إلى ملايين الجنيهات . ولا يمكن تركيب كل ذلك هذا العام . ولابد أن تقوم شركات المياه بتعويض المتضررين من عدم وصول المياه إلى بيوتهم وإلى حظائر الحيوانات . ومن المؤكد أن الشركات سوف تدفع .

وسوف يستطيع الإنجليز ذلك فقد واجهوا ما هو أقسى من ذلك فى الحرب الماضية وصرفوا الماء بالبطاقات والشاى والسكر ولبن الأطفال والسجائر . وكانوا نموذجا رفيعا لاحترام القانون ابتداء من الأسرة التى لا تملك شيئا .

ويدرسون أيضا (تدوير) المياه أى تحويل مياه الصرف إلى مياه للحدائق وشرب الماشية . وهذا سهل جدا وكثير من الدول تفعل ذلك . وكل هذا معروف لنا . ولكن كيف نطبقه فى بلادنا . . إن الجفاف سوف يجيء وماء النيل لن يكفى بعد عشرين أو خمسين عاما وربما أقل من ذلك . وهذه حققة مؤكدة .

فهل ياترى من الحقائق المؤكدة أننا سوف ندرك ماذا سيحدث لنا . . وهل نحن قادرون على أن نواجه وأن نلتزم وأن نحترم القواعد التى تقيد حريات السفاهة السلوكية النقطة ، التى يجب أن تتعاون عليها كل وسائل التعليم والإعلام والتربية الدينية !

حتى ماء البحر!

لا أعرف نص الحديث النبوى الشريف الذى ينصح الناس الذين يتوضئون من البحر أن يقتصدوا فى الماء . ولكن المعنى البليغ . وهو أن يكون الإنسان رشيدا لا سفيها . أى أن يكون الإنسان معقولا فى استهلاكه للماء . ونحن ـ عادة ـ لا نحرص على ذلك إلا عندما تكون هناك أزمة ماء . . ففى الأزمات نطالب أنفسنا بترشيد الاستهلاك . ومن يقرأ الصحف البريطانية هذه الأيام يراها تطلب من الناس أن يعتدلوا فى استهلاك الماء فى الحمام ـ بسبب الجفاف الذى تعانيه بريطانيا .

وحكاية ترشيد أو (تعقيل) الاستهلاك فى زمن الحروب نعرفه جميعا . ورأيناه فى السينما . . إلا فى مصر .

فنحن لا نزال نغسل أيدينا ونروى أرضنا عن طريق الغمر ـ نغسل أيدينا بلترين وثلاثة من الماء ثم نترك الحنفية مفتوحة إلى البالوعة إلى الصرف الصحى الذى يكلفنا ألوف الملايين . . ويفعل الفلاح نفس الشىء فهو يفتح الماء على قيراط الأرض وينام وتنزل إلى المصارف ألوف الأمتار المكعبة من الماء !

ولم نصل بعد إلى مرحلة الرى بالتنقيط أو بالرش توفيرا للماء . . ثم أننا فى مصر لابد أن نشرب من البحر ، لأن ماء النيل لا يكفى للرى والشرب فى نفس الوقت . .

فنهر النيل طوله ٦٥٠٠ كيلو متر ويطل عليه وعلى روافده عشر دول هى : بوروندى ومصر وأرتيريا وأثيوبيا وكينيا ورواندا والسودان وتنزانيا وأوغندا وزائير . وعدد سكان حوض النيل ٢٥٠ مليونا . سوف يصبحون بعد ثلاثين عاما ٤٠٠ مليون . .

وسوف يزداد الإنفاق السفيه لمياه النيل . ومن يدرى ربما زاد الجفاف . فأحوال الجو مضطربة . ونحن لا نعرف بوضوح هل الأرض اقتربت من الشمس . وأدى هذا الاقتراب إلى ارتفاع الحرارة . . أو أن طبقة الأوزون قد تمزقت فدخلت حرارة الشمس ولم تخرج بسبب سحب التلوث التى تلف الأرض . . فهذه السحب ترد الحرارة إلى الأرض بدلا من تبديدها فى الفضاء . ومعنى ذلك أن الماء سوف ينقص وأننا سوف نموت عطشا وجوعا كما حدث فى كل الدول حول خط الاستواء .

إن هناك محاولات لإعادة مياه الصرف إلى الأرض الزراعية ، لأن نسبة الملوحة فيها مقبولة من النبات والحيوان .

لابد أن نساعد أنفسنا بالاقتصاد فى إنفاق الماء . لابد وأن نبدأ من الآن . . فإن كنا مؤمنين ، ونحن نتظاهر بذلك . فأمامنا الحديث الشريف الذى يطلب الاقتصاد فى استهلاك ماء المحيط .

فى بطنه عفريت !

كان الكاتب الفرنسى بلزاك يعتقد أن فى بطنه عفاريت . وأن هذه العفاريت تمنعه من الكتابة وأنها تحقد عليه . ولها طريقة واحدة . هى إصابته بالامساك . وأنه كثيرا ما كان ينهض من مكتبه ويضرب دماغه فى الحائط . . ثم يدق بطنه بيديه . . ويتمنى لو تنفجر ويخف وزنه ويجلس بما تبقى من جسمه ليكتب !

ولم يدر الفنان العظيم أن سبب إمساكه ليس العفاريت . . وإنما هو جردل القهوة الذى يضعه إلى جوار مكتبه وسريره ولا يتوقف عن شرب القهوة ليلا ونهارا . والنتيجة : الأرق مضافا إلى القلق وقلة النوم . والإمساك هو النتيجة الطبيعية لذلك!

وكان أستاذنا العقاد يضع يده على جانب من بطنه لأن مصرانه الغليظ مشدود كحبل من السلك الشائك الساخن . . وهذا الإمساك قد لازم عددا كبيرا من المشاهير بسبب نشاطهم الزائد واضطراب حياتهم وطعامهم وتوترهم المستمر . . مثل الرئيس جيفرسون والزعيم الفرنسى روبسبير والقائد العظيم نابليون والأديب هنرى جيمس وعالم النفس فرويد والزعيم غاندى والملايينير المجنون هوارد هيوز والممثلات جودى جارلاند ومارلين مونرو وهيدى لامار ومارلون براندو والرئيس محمد نجيب والزعيم سعد زغلول والممثل نجيب الريحانى .

يقول د . أدهم هوليمورت فى أحدث كتاب له عنوانه (خياتك بين اصابعك) . يرى هذا الطبيب أن الصحة والجمال بين يديك . فأنت تصنع صحتك وجمالك بما تختاره لنفسك من طعام . وعنده نصيحة بسيطة جدا . يقول : كل الذى كنت ترفضه وأنت طفل يجب أن تعود إليه . فقد كنت ترفض الخبز الخشن ، ارجع له . وكنت ترفض اللبن ، اشربه . . وكنت ترفض الفاكهة وتفضل عليها الجبنة عد إلى الفاكهة . وتريد أن تنام أمام التليفزيون لا تفعل ذلك . وتحب ألا تنام نهارا ، وتظل تلعب وتلهو وتأكل أثناء اللعب حتى تتساقط من الإعياء . فلا تنس أن الطفل عنده قدرة هائلة على توليد الطاقة . وأنت لم تعد طفلا . افعل ما كان يفعله العجوز تشرشل لقد كان ينام ساعة أو ساعتين بعد الغذاء . لابد أن تغمض عينيك دقيقة أو دقيقتين .لابد .

فالإمساك ليس شرطا من شروط العظمة فهناك عظماء لم يسمعوا عن الإمساك . ولكن الإمساك إحدى نتائج العظمة : أى العمل الشاق والتوتر والإرهاق وسوء التغذية وقلة الراحة . .

ففى يديك أن تنام على الجانب الذى لا يوجعك !

عبارة ظالمة

إن الشعب البرازيلى يرقص ليلا ونهارا . إذا شبع رقص وإذا جاع رقص . فهو راقص طوال الوقت . وأنت الذى تحار فى تفسير ذلك .

ليس فى الدنيا أغنى من البرازيل ولا أفقر . الأرض غنية والشعب فقير ، الأرض نشيطة والشعب كسول . مثلا إحدى مدن البرازيل قد أقامت قاعة طولها نصف كيلو متر . . لكى يرقص فيها الشعب فى أحد أعياده . القاعة تتسع لربع مليون راقص . . إنهم ــ عادة ــ يرقصون السامبا التى اخترعوها ولذلك أطلقوا على القبة فوق القاعة إسم (القبة السامبوية) . . أى قبة رقصة السامبا ! .

هذه القبة تكلفت الملايين اقتطعوها من قرض قيمته مائة مليون دولار للصرف الصحى . . أما كيف يسددون هذا القرض ، فهى ليست مشكلة . المهم أن يكون صرفا صحيا على أى نوع ، وأن يكون هناك رقص . . وهم يعرفون جيدا كيف يرقصون !

لابد أنك رأيت الدجاجة وهى مذبوحة : إنها تنشال وتنهبد . . وترتجف . . ولذلك قال الشاعر القديم :

كالطير يرقص مذبوحا من الألم !

وهم يرقصون رغم الألم . .

ويرقصون بسبب الألم . . ويتجاوزون الألم بالرقص ، ويتجاوزون الرقص بالألم أيضا . . فهم فى بلاد البرازيل يقتلون الأطفال الصغار . . بالعشرات وبالمئات . . وهناك عصابات تقتل الأطفال . لماذا؟ إنهم لا يريدون مستقبلا لهم . . إنهم يقتلون المستقبل حتى لا يكون هناك أطفال آخرون لا يجدون طعاما وشرابا . وبدلا من أن يعملوا ويزرعوا ويحرثوا فالكبار ينافسون الصغار فى التسول فى الشوارع . . وهكذا يختصرون المتسولين الصغار قتلا وذبحا ويعبرون عن سعادتهم رقصا ، والحزن على أنفسهم رقصا أيضا ـ عجبى !

أما العبارة التى نسبها الشعب الفرنسى إلى مارى إنطوانيت عندما قيل لها : إن الشعب ثائر على الخبز ـ وليس من أجل الحصول عليه ـ قالت : فليأكلوا جاتوها . . هذه العبارة لا تزل صحيحة . . فالشعوب التى لا تجد الخبز ترقص . . والشعوب التى فيها الملايين لا يجدون الطعام ينفقون ألوف الملايين على سفن الفضاء . . أمريكا وروسيا والصين !

لسنا عقلاء !

أعرف عائلة من أربعة أشخاص تقسم الرغيف إلى أربعة أجزاء وتضعها فى الثلاجة . فإذا جاء موعد الطعام انتقل الخبز إلى المائدة . ومازاد على الحاجة أعيد إلى الثلاجة . وكل واحد يغرف لنفسه . ولا يبقى فى الطبق شىء يلقى فى الزبالة . .

حدثنى د . فاروق شحاته : مستشارنا الثقافى السابق فى النمسا عن زوجته الألمانية الصيدلانية التى تتعامل مع كل شىء على أنه عقار . فهى تضع كل شىء فى الثلاجة ومكتوب عليه تاريخ ونهاية الصلاحية . . بما فى ذلك الطعام . وكل ما تبقى من الطعام تضعه فى علبة . وفى نهاية الأسبوع تصنع من بقايا كل شىء طعاما لذيذا . وعندها خبرة طويلة فى ذلك . والقاعدة هى لاشىء يلقى فى الزبالة!

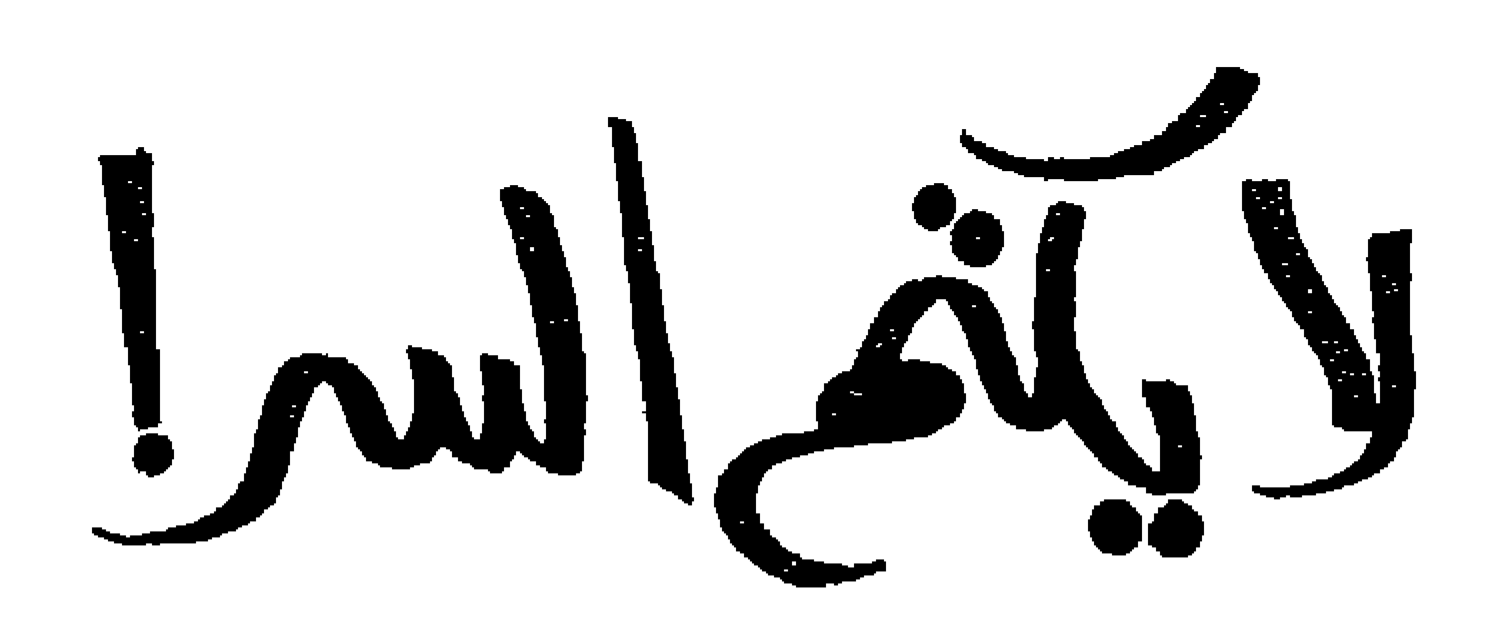
مرة دعيت إلى الغداء عند أسرة هولندية ــ رجل وزوجته ــ كان فى الطبق الذى أمامنا قطعتان من اللحم ، فمد كل منهما يده وأخذ قطعة . واعتذرا لى بأنه لم يتسع وقتهما لإحضار سمكة لى . ولكن فى المرة القادمة سوف يجدان لى طعاما مع أن الدعوة إلى الغداء كانت من أسبوع ! ولكنهما مشغولان جدا . وهو عذر مقبول فى أوروبا . وعندنا ليس مقبولا . وبعد ان انتهى الطعام قالت لى الزوجة : أنا أحسدك لأنك لست مضطرا لأن تغسل طبقك مثلنا !

لاطعام ثم حسدونى على ذلك ـ تصور !

كان لى قريب يعيش فى مدينة فرانكفورت . دعانى للغداء . ذهبت . وعندما جلسنا د ق جرس الباب فكانت زوجته القادمة من باريس لقد جاءت قبل موعدها بثلاث ساعات . وقبل أن يصافحها ويبوسها من هنا ومن هناك قالت بسرعة : لابد أن المدعوين مصريون! تقصد أن الطعام على المائدة يكفى عددا كبيرا من الناس وأنهم قد تأخروا عن الموعد . . ولما علمت أن الطعام لنا نحن الاثنين ، لم تجد حرجا فى أن تمد يدها وتنقل معظم الطعام إلى الثلاجة . وجلسنا نحن الثلاثة نأكل ما يكفى اثنين فقط!!

أما قريبى هذا فقد ابتلع لسانه فلم ينطق بكلمة واحدة . فقد أراد الحفاوة بى على الطريقة المصرية . أما زوجته فلم تجد سببا للخروج عن عاداتهم فى ألمانيا . فالأكل يجب أن يكون قليلا ، أما الفنجرة أو المنظرة فلا مبرر لها . . وجلست وأكلت وأشارت بأدب لى أن أتبعها وأن أغسل الطبق والشوكة والسكينة .

أرى أن هذا سلوك معقول . . أما نحن فلسنا عقلاء ولا راشدين !



كان ياما كان فى سالف الزمان دكتور اسمه موران . هذا الدكتور كان طبيبا خاصا للزعيم تشرشل ٢٥ عاما . ولما مات تشرشل نشر هذا الطبيب مذكراته . . لم يترك شيئا من أخص خصوصيات تشرشل لم يذكرها . وقد ذكر أن تشرشل كان يجلس على (القصرية) فى مقر القيادة تحت أرض لندن يعانى من إمساك شديد عندما جاءته برقية بالهجوم الجوى اليابانى على بيرل هاربور وإغراق الأسطول الأمريكى . . فنهض تشرشل وراح يرقص بالصورة التى كانت عليها وهو يقول : لقد دخلت أمريكا الحرب . . لقد دخلت أمريكا الحرب . . أعظم يوم فى حياتى . . وأصابه الإسهال وطلب أن ينام . . ونام بعد ذلك ثلاث ساعات عميقة !

وهذا الكتاب يثير قضية أخلاقية . القضية هى أن الأطباء يؤدون قسم أبقراط الحكيم الذى كتبه من ٢٥ قرنا . والذى يحتم على الطبيب ألا يذيع أسرار مرضاه . ولذلك ذهبت أسرة تشرشل إلى القضاء . ولكن الدكتور موران له وجهة نظر هامة وهى أن الشعب يجب أن يعرف من الذى كان يحكمه وكيف كان يتخذ القرار المصيرى وهو مريض . ومعظم الزعماء مرضى ، وعندهم أمراض خطيرة تجعل من الضرورى أن يتركوا الحكم . .

لقد كان قادة الحرب العالمية الثانية جميعا مرضى : هتلر وموسولينى وستالين وروزفلت وتشرشل وديجول وكاى شيك . . ومعظم قادة الحرب كانوا مرضى نفسيا وعقليا . . وبعضهم كان يوافق على خطط الحرب وهم فى الإنعاش . . فكيف لا تعرف الشعوب الحالة العقلية والجسمية للذين يوجهون مصيرهم . . يقول اللورد موران :

آه لو عرف الشعب البريطانى . . لو عرف لما وافق على أن يجىء تشرشل وزيرا ولا رئيسا للوزراء . . ولا وافق على عدد من قادة الأسلحة الجوية والبحرية والبرية .

وإذا كان تاريخ الطب سيخصص فصلا «كاملا» للورد موران باعتباره مخالفا لأخلاقيات مهنة الطب ، فسوف يخصص بابا آخر للزعيم تشرشل الذى كان يهوى الطب ويكتب الروشتات . ومن بينها روشتة للجنرال أيزنهاور كادت تودى بحياته ، ليتغير مسار الحرب فى أوروبا .

ويبقى السؤال : هل يقول الطبيب أو ما الذى يجب أن يقوله ولمن يقول؟

ولكن اللورد موران قال ولَم يكتم السر فى مذكراته التى ظهرت فى طبعتها الجديدة أخيرا . .

أناموسكوس!

أشهر هواة الطب والعلاج الذين عرفتهم هم الأساتذة : العقاد والحكيم وعبد الوهاب ، وقرأت العجب العجاب عن تشرشل وكيف أنه كاد يقتل أيزنهاور بوصفاته الطبية! فالأستاذ العقاد مات بالمصران الغليظ وكان يعالجنا ويصف لنا ماذا نأكل وماذا نشرب . وعندما أتيت له بالأطباء يصرحون بأنه يعرف كل شىء وليس لديهم ما يقولونه . . فالعقاد الطبيب هو الذى قتل العقاد الأديب !

وكان الحكيم ينصح أى إنسان بأن يتعاطى نصف قرص أسبرين يوميا . وإذا مشى فلتكن خطوته منظمة . ولا سبيل إلى تنظيم الخطى إلا باستخدام العصا . أما محمد عبد الوهاب فكان طبيبى فى كل ما يتعلق بالأنفلونزا أو الزكام . . وكان ينصح بتعاطى الحقن والأمصال أشكالا وألوانا . وكان مثل العقاد والحكيم ينصح بالقليل من الأسبرين .

ولم يخترع الإنسان فى كل العصور دواء لمعظم الأوجاع مثل الأسبرين . وآخر فوائد الأسبرين أنه يصحح القلب ـ أوجاع القلب ودقات القلب . . وأمريكا وحدها تتعاطى أربعين طنا من أقراص الأسبرين سنويا !

والأسبرين هو تطور للعلاج بالأعشاب . فقد اكتشف الإنسان ولمئات السنين فوائد لغلى أوراق وأغصان الصفصاف . وفى سنة ١٨٣٨

استخرج كيميائى ألمانى حامض أستيل ساليليك من الصفصاف . وظل العلماء الأمريكان يطورون هذا الحامض مع إضافة مواد أخرى . . وفى سنة ١٨٩٣ استطاع الكيميائى هوفمان الذى يعمل فى مؤسسة «باير» أن يصل إلى التركيبة الحالية . وقد أطلق عليه اسم «أسبرين» اختصارا لكلمتى «أستيل» وكلمة «سيبريا» وهو الاسم العلمى لنوع من الأعشاب ذات الورود . والأسبرين هو أشهر وأرخص دواء فى العالم ـ وله عمر افتراضى طبعا !

وهو أول دواء عرفناه فى الريف . وآمنا ونحن صغار بأنه سحر ، وجاءت التجربة الشعبية والعلمية تؤكد أنه كذلك .

ونحن ـ الموسوسين ـ نضعه إلى جانب الأحجبة والعملات ـ بفتح الميم ـ ولم نخطئ كثيرا فى هذا التصور .

وأول فيلم سينمائى رأيته فى حياتى مبهورا كان عندما تجىء سيارة شركة «باير» إلى الريف وتذيع الموسيقى من سيارة لامعة . . وتختار أية خرابة وتقف فيها وتعلق على الجدران شاشة وعليها تعرض أفلاما وصورا متحركة لأثر الصداع الذى ينشر رءوس وعظام الناس . . فإذا اقتربنا ـ ككل الأطفال ـ لكى نلمس السيارة ارتدت إلينا أيدينا بمنتهى العنف . . فالسائق قد كهرب السيارة حتى لا يلمسها أحد . . أما الفيلم الثانى الذى رأيته فى حياتى كلها فكان بعد أن تخرجت فى الجامعة . وعلى كثرة ما رأيت لم أنس فيلم الأسبرين الذى لم يقل سحرا عن الأسبرين نفسه ! .

دورة المياه ؟

نائب الرئيس الأمريكى هو الذى وقف يصفق وحده لشىء حدث على بعد ٣٥٠ كيلو مترا حول الأرض . . ولا صفق أحد ولا سمع أحد ما قاله رواد الفضاء الأمريكان لرواد الفضاء ا لروس . . ثم انتظروا ليسمعوا الترجمة القادمة من الأرض لهذه التحية عندما التحمت سفينة الفضاء الأمريكية أطلانطس (مائة طن) ومحطة الفضاء الروسية (مير) ومعناها السلام .

وانتقل من المحطة الروسية طبيب أمريكى أمضى ١١١ يوما فى الفضاء . . ورائد روسى أمضى ٤٣٧ يوما (عشرة آلاف دورة حول الأرض) فروسيا عندها التجارب والتطور الهائل وليس عندها فلوس . . والأمريكان عندهم الفلوس والقدرة على شراء كل اختراعات الروس وتأجير المحطة الفضائية أيضا . والروس أول من أطلق إنسانا حول الأرض ، والأمريكان أول من أنزل إنسانا على القمر .

والدولتان تتعاونان على وصول الإنسان فى رحلة إلى المريخ تستغرق ثلاث سنوات . ولذلك يتعاونان معا فى إقامة منصة فضائية . .هى محطة (مير) وتزويدها بالطعام والشراب والأدوية لمعرفة ما الذى يحدث للجسم الإنسانى فى منطقة انعدام الوزن حول الأرض وفى الطريق إلى المريخ . . ماذا يحدث للأذن والأذن

الوسطى والقلب والكرات الحمراء وجهاز المناعة ونقص كالسيوم العظام وفوسفور الأعصاب . . الأطباء الروس أكدوا أن هناك مرضا يصيب رواد الفضاء بعد تسعين يوما .

المرض عبارة عن ملل عميق يدفع إلى الغثيان وإلى ارتعاش اليدين ونوع من الهلوسة البصرية والسمعية أيضا . . لابد أن يحدث وابضعة أيام . .

وسوف تقوم أمريكا بمساعدة روسيا على إصلاح محطاتها الأرضية التى صدأت فيها الأجهزة وانهارت من فوقها الأسقف ونزل منها المطر . . أما بقية المشروع الطموح الذى سوف يتم سنة ٢٠٠٢ أى بعد سبع رحلات إلى السفينة الروسية فى السنتين القادمتين ، فيعتمد فى الدرجة الأولى على المزاج السياسى بين كلينتون ويلتسين . .

الرواد لهم مشكلة واحدة لم يفلح العلماء فى حلها وهى (دورة المياه) كيف ؟ إنها حكاية طويلة !

كلمة واحدة!

أول كتاب صدر لى سنة ١٩٤٩ كان اسمه (وحدى . . ومع الآخرين) . وقد فوجئت بهذا الكتاب فى فترينات المكتبات فى دمشق . والناشر لم يخطرنى بموعد صدوره . . واندهشت لعنوان الكتاب الذى تغير . فالعنوان هو (وحدى مع الآخرين) والمعنى الذى أردته هو أننى وحدى رغم وجود الآخرين . . تماما كما تمشى فى الشارع فى الزحام أو فى السوق وسط الألوف أو فى السينما بين المئات . ورغم وجود كل هؤلاء حولى . فأنا وحدى . لا أشعر بهم . وإنما هو مثل موج البحر الهادر الصاخب . وأنا وحدى : بحر لى أمواجى وصخورى وعواصفى وشعبى المرجانية وأسماكى الصغيرة والكبيرة وأعماقى . . والناس حولى ، ولكنهم ليسوا معى . . ليسوا قطرات فى محيطى ولا موجات على سطحى . . كأنهم لا وجود لهم . .

وأن هذه هى حال أبناء القرن العشرين . . إنهم كثيرون فى كل مكان . ولكن كل واحد مغلق على نفسه . . والعلاقات بين الناس شكلية . . مصطنعة . . مزيفة . . ولذلك عندما ظهرت مسرحيات (العبث) فى فرنسا وفى القاهرة . كان المعنى أنه من الممكن أن يجلس اثنان معا ولا يتحاوران . أو يدور بينهما كلام ليس حوارا . وإنما هى مونولوجات . . فكل واحد يقول ولكن أحدا لا يسمعه . أو ليس من الضرورى أن يسمعه .

فأنا أردت أن أؤكد وحدتى وعزلتى ووحشتى وتماسكى . . فالناس من حولى مثل حوت يونس ـ عليه السلام ـ وأنا يونس الذى يخاف أن يبتلعنى . . لابد! فأنا أقاوم وأنا موجود فيه !

وعرفت فيما بعد أن الصديق الكبير كامل الشناوى هو الذى طلب من الناشر أن يضع حرف الواو . فيكون العنوان (وحدى (و) مع الآخرين) . . يعنى مرة أصف حالى وأنا وحدى ومرة أصف حال الناس وحالى معهم . . وهو غير الذى قصدت تماما . وحتى لا أغضب كامل الشناوى أبقيت الواو الزائدة والتى أنقصت المعنى الفلسفى الذى أردت !

وفى الطبعة الإنجليزية لهذا الكتاب طلبت من الناشر أن يجعل العنوان كما أراده كامل الشناوى على أن أكتب اعتذارا عن ذلك فى المقدمة العربية للطبعة الثلاثين التى صدرت أخيرا !

لن نزحف!

« لن نذهب الى كانوسا » !

وهى عبارة مشهورة فى القرن الحادى عشر . عندما وقع خلاف شديد بين إمبراطور ألمانيا هيتريش الرابع (١٠٥٠ ـ ١١٠٦) والبابا جريجورى السابع فالبابا طرد الإمبراطور من الديانة المسيحية والإمبراطور خلع البابا . وثار الشعب الألمانى على الإمبراطور الصغير . فلم يجد الإمبراطور سبيلا إلى إرضاء الشعب إلا بالذهاب إلى البابا فى قلعة كانوسا شمال إيطاليا . ليركع ثلاثة أيام تحت الجليد . حتى عفا عنه . وعاد إلى بلاده بعد أن جدد له الشعب يمين الولاء والإخلاص . وكان البابا قد أحلهم من ذلك !

إنهم ثلاثة ملوك يحملون لقب هنرى الرابع . هنرى الألمانى وهنرى الرابع الإنجليزى (١٣٦٧ ـ ١٤١٣م) وهنرى الرابع الفرنسى (١٥٣٣ ـ ١٦١٠) .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وقع الخلاف شديدا بين المستشار الألمانى بسمارك والبابا بيوس التاسع . ولكن بسمارك كان أقوى من الإمبراطور هنرى الرابع ومن البابا أيضا فقال بسمارك سنة ١٨٧٢ عبارته الشهيرة nach Canossa gehen wir nicht أى : إلى كانوسا لن نذهب !

أى ليس من أجل الصلح والوفاق نهون ونزحف على أقدامنا ونركع تحت الجليد ، فالنار والحديد أهون وأرحم وأكرم . . وليس هذا بين البابوات والملوك ، ولكن بين الدول وبين الأصدقاء أيضا . . وسوف تبقى الخلافات بين الدول فى كل مكان وزمان . . بين الأشقاء وبين الأصدقاء ولكن هناك حدود للصبر والاحتمال . . فالسودان صديق وشقيق وجار . على العين والرأس . ومن الممكن أن نتحمل رذالة البشير وهوس الترابى . ممكن ولكن عيوننا وقلوبنا على الشعب السودانى . ونحن لسنا فى خلاف مع الشعب . ولا نريد ذلك لا اليوم ولا غدا . ولكن حتى الشعب يجب أن يعرف أن هناك حدودا لاحتمالنا وصبرنا . . ويجب أن يفهم الصديق الشقيق السودانى وغيره أن الذى نفعله هو السياسة والمرونة ومن أجل صالح الجميع . . وليس عن ضعف نغمض عيوننا ولا عن صم نسد آذاننا . . ولا عن قوة فى أسناننا نمضغ الظلط . . وإنما هى المحبة والود التاريخى والمصلحة العامة . . وأنه حكم الجغرافيا على التاريخ ، وقضاء الدم على الماء يجرى بيننا . . فلا الدم يكون ماء ولن يكون الماء دماء . .

ولن نذهب إلى كانوسا !

سيف وانلى

تلك الأيام من سنة ١٩٥١ عندما سافرنا على ظهر الباخرة أسبيريا : الفنانون صلاح طاهر وزوجته ، حسين بيكار وزوجته وكمال الملاخ ولبنى عبد العزيز ، وعبد السلام الشريف ـ شفاه الله ـ وحسن فؤاد وجمال كامل وعبد الغنى أبو العينين وأبو صالح الألفى والأخوان سيف وانلى وأدهم وانلى . . وأنا . كنا ننام على ظهر السفينة ، وأحيانا فى إحدى الخيام . ولابد أن نصحو جميعا قبل الفجر لأن البحارة الإيطاليين يريدون تنظيف السفينة من مخلفات الركاب . وكنا نلم هدومنا وأنفسنا وننتظر حتى يتم غسل المركب . وبعدها ننام ـ على قد فلوسنا! وكنا سعداء جدا .

أما الطعام والشراب فكنت أتولاه أنا . . فأنا أقوم بدور الترجمة إلى الإيطالية ومنها . وأقوم بتسول المكرونة والآيس كريم والنبيذ أيضا . وذلك لأننى أعمل فى طبع وترجمة قوائم الطعام لركاب الدرجة الأولى . وكثيرا ما واجهت رذالة الأخوين وانلى وكمال الملاخ فى تسول أنواع خاصة من الخبز والجبن . .

وذهبت إلى القبطان أعرض عليه أننا نتطوع فى فرفشة ركاب الدرجة الأولى بالغناء . . واخترنا إقامة مسابقة فى جمال السيقان . . وساهم نصفنا فى هذه المباراة التى أضحكت ركاب

الدرجة الأولى . والمقابل مزيد من المكرونة والجبن والآيس كريم والخبز والشاى والسكر .

وفى يوم جمعة قررنا أن نؤدى الصلاة على ظهر المركب . وأصر الفنان سيف وانلى أن يخطب الجمعة ، وأن أكون أنا إماما للمصلين . فقلت له : ما ينفعش! وأخيرا اهتدينا إلى أن يخطب ويقول ما يريد بعد الصلاة . وبعد الخطبة والصلاة قام الفنان وانلى يشتمنى لأ ننى لست عادلا فى توزيع الغنائم . ونسى أننى متطوع أن أعمل شحاذا للجميع . فقررت ألا أفعل . وقرروا أن يعتذر لى ويبوس الجميع رأسى . ولكنى لم أفعل حتى وصلنا . ولما نزلنا إلى ميناء نابلى لاحظت مشادة عنيفة بين الفنان سيف وانلى وأحد الإيطاليين ونادانى أن أترجم . . . ويبدو أننى لم أسمع . وكانت نتائج الخناقة سوداء علينا جميعا !

ولكن فى تلك الأيام تتحول جميع الألوان بعضها إلى بعض وفى سهولة تتخذ لون الورد وملمسه وشذاه . .

رحم الله سيف وانلى فى ذكراه . . ذلك الفنان العظيم ابن الطبيعة والبساطة والجمال والشفافية والصوفية !

ولا يهمك!

من المناسب ألا يتابع أحد أخبار الأميرة ديانا وزوجها ولى العهد . فقد تابع الناس أخبارهما لسبب ساذج وهو أن الناس يتصورون أن الأمراء غير البشر . . فهم فوق ماديا وأخلاقيا واجتماعيا . مع أن أكثر الاحتمالات أن الناس اللى فوق تحت جدا ، وكثير من الناس اللى تحت فوق جدا . وعلى الرغم من سخافة هذه الفكرة الشعبية الساذجة ، فالناس لا يزالون يقرءون ويتفرجون على أفلام الأميرة وفضائح الأمير وأخى الأمير ومطلقة أخى الأمير . .

وربما كان هناك سبب آخر فيه تكريم للناس العاديين حين يشعرون بأنهم أفضل لأنهم يستنكرون هذه الفضائح . . فهذه الفضائح هى مناسبة سعيدة لكل إنسان بأنه ليس كذلك . وأنه هو أسمى وأنهم أحط . وأنه أقرب إلى السماء رغم أنه على الأرض وأنهم جميعا أحط من الأرض رغم أنهم فى السماء !

وسبب ثالث هو أن الفلوس لا تشترى السعادة . فالأميرة ديانا غنية وملكة غدا أو بعد غد ومريضة بمرض البوليميا ـ أى الشراهة فى الأكل والشرب ثم الجرى لإفراغ ما فى أحشائها ليلا ونهارا . . وأنها وأنها . .

والمعنى : أن هناك شيئين لا يشتريان بالمال : الصحة والحب !

فالأميرة لا عندها حب ولا هى فى صحة جيدة . . بينما الناس العاديون عندهم الصحة متلتلة ، وعلاقات عائلية متينة . .

ولو ارتكب أى مواطن عادى فى الهند والصين والبحرين والصعيد واحدا من مائة مما تقترفه سمو الأميرة وسمو الأمير وبقية أصحاب السمو والفخامة من الأرستقراطية البريطانية لاهتزت الدنيا ثم تعاون الناس جميعا على أن يفتحوا لهم أبواب جهنم . . ولذلك يستمد الناس سعادتهم من تعاسة الأمراء فى لندن والأغنياء المفضوحين فى الكباريهات والمحاكم . .

وسبب أخير هو أن الله سبحانه وتعالى يبتلى الإنسان بالسلطة والمال . .

وهناك ثلاثة أشياء يذوب فيها الحديد : المال والجنس والسلطة . . والناس أمامها ينتفخون وينحرفون ويحترقون كالرغيف فى الفرن أو السمك فى الزيت المغلى . . أو مثل أولاد أصحاب الملايين المنحرفين فى الشوارع والليالى الحمراء فى كل العواصم . .

موجي ؟!

آخر مرة رأيت فيها محمد الموجي كان في مهرجان الجنادرية ـ ومعه زوجته الحاجة أم أمين وأخوها ، وصديقه الشاعر الغنائي عبد السلام أمين . . وكانت عنده إجابة واحدة على أى سؤال عن صحته : أحسن . . وأم أمين تقول : الحمد لله أحسن . . وعبد السلام أمين : الحمد لله أحسن بكثير جدا . إحنا كنا فين . .

فالتحسن في صحة الموسيقار محمد الموجي مصدر سعادة للذين حوله من أهله وأصدقائه ومحبيه . ولكن يبدو أن هذا التحسن كان ظاهريا مؤقتا . . وبعد ذلك حدث ما تعرف ولا باقى إلا وجه الله . . والفن الذى هو أطول عمرا من الفنان . .

وهو أول من لحن لعبد الحليم حافظ وكان بداية السلم المتحرك إلى أعلى صافيني مرة . . وأغنية واحدة أحدثت ضجة في تاريخ الغناء العربي ، فكتب عنها كل من يمسك قلما في مصر ابتداء من صحفى تحت التمرين حتى أستاذنا العقاد ، إنها أغنية (يا اما القمر ع الباب) . . ومن تأليف الشاعر الغنائي مرسى جميل عزيز . كلامها رقيق جميل بليغ . . واللحن في غاية السهولة والجمال ، واختلف الناس حول معنى الأغنية . . إنها أغنية جميلة في غاية الحياء والأدب . وذهبت الأصوات وبقيت الأغنية الجميلة العبارة السهلة الأداء السامية

مغنى ومعنى . . وأغنية أخرى لفايزة : أنا قلبى إليك ميال . . وأ غنية ثالثة : غلطة واحدة . . ولا أظن أغنية واحدة فى تاريخ الغناء العربى لها هذا المطلع الأبهة مثل هذه الأغنية وكان اللحن يقول :

غلطة نعم . لكن غلطة واحدة ومن الذى لا يغلط . . بل إن اللحن والأداء يجعل العفو شاملا . . يكفى هذا الجمال والروعة فى اللحن والموسيقى وفايزة أحمد . .

وكان سعيدا محمد الموجى بأن إحدى بناته قد أعدت رسالة دكتوراه عنه . . . وأن باحثين آخرين فى جامعات عربية وأوروبية يدرسون عباراته البديعة فى ألحانه .

سألت أم كلثوم عن رأيها فى الموسيقيين . . . فقالت : إن الموجى مصرى عربى صميم ، وليس فى عباراته جملة واحدة لا تدخل القلب دون استئذان .

وسألت محمد عبد الوهاب عن الموجى فقال : إنه فنان بديع ولكنه متواضع . . فليس فى موسيقاه ادعاء ولا غرور . .

سألت د . يوسف شوقى عن الملحنين المصريين فقال : إن الموجى يمكن أن نضعه تحت عنوان هو : السهل الجميل . السهولة الجميلة . وكان فى القاهرة منذ شهرين المؤرخ الموسيقى الأرجنتينى السورى الأصل : فتوح أكوارينا .

وكان من رأيه أن الموجى يمتاز عن غيره بأنه مثل نافورة شمبانيا يستحم فيها وتحتها حريم سلاطين الطرب .

فنان مثل الموجى يموت لأهله وأصدقائه ولكنه حى بفنه الرفيع ونفسه الصافية !

خرافات .. خرافات !

كثير من الخرافات التى دخلت الإسلام جاء بها الشيعة . . وكانت الخرافات اليهودية أهم مصادرهم . ولذلك فكثير من الخرافات فى الديانة اليهودية موجودة أيضا فى (الديانة) الشيعية النصيرية . . آخر تقاليع الشيعة أنهم يحرمون الكافيار (البطارخ) . والكافيار هو بيض نوع من السمك موجود فى بحر قزوين . وإيران تستخرج من هذا حوالى ثمانين طنا سنويا أى ما يعادل ٩٠٠ مليون دولار . والكافيار أبيض وأسمر . والأسمر هو الأغلى .

وقد أخذ الكافيار يتناقص ، ولابد أن تنقرض أسماكه بعد ذلك . فقد ظهرت تحت مياه بحر قزوين آبار للبترول . . والبترول هو الذى يكسب فى النهاية .

وحلا لهذا التناقص المستمر فى الكافيار ، أو بسبب الإقبال الشديد عليه ، اخترع الروس نوعا صناعيا من الكافيار ــ وقد جربت هذا وذاك ، فلم أستطع أن أميز بينهما . وإن كان بعض الناس يقولون : إنهم استطاعوا . ولكن أنا من الأغلبية الساحقة التى لم تستطع !

طبعا الشيعة يتوجهون إلى أبناء بلدهم يدعونهم ألا يأكلوا الكافيار ، إما لأنه حرام وإما لأنهم يصدرونه إلى الخارج . وهو حرام

عند اليهود لأنه جاء من سمك ليست له قشور . . فكل الكائنات البحرية التى ليست لها قشور حرام : القراميط والثعابين والسلاحف والحيتان والجمبرى والاستاكوزا .

وأذكر أن الرئيس السادات حاول أن يعرف مدى تدين مناحم بيجن فكلفنى بتقديم أنواع من الجمبرى المسلوق والمشوى والمقلى لعشاء بيجين . وطلب منى أن أبلغه النتيجة فى أية ساعة من ساعات الليل . فاتصلت به عند منتصف الليل وقلت له : لم يأكل ياريس! فقال لى : قل لإبراهيم يقدم له الجمبرى مرة أخرى!

إنه إبراهيم الدسوقى مدير فندق أوبروى أسوان . .

ولم يقربه بيجين ولا مساعدوه ولا حراسه . وظل الجمبرى أمام الجناح حتى أعيد إلى المطعم .

وقال السادات : إذن فهذا الرجل لم يكذب . إنه متدين حقا .

وقد سمعت من إبريل شارون أنه كان عندما يجد نفسه جالسا بين د . مصطفى خليل ويوسف برج فى مفاوضات الإسكندرية كان يجعل كوب النبيذ ناحية برج والجمبرى ناحية مصطفى خليل !

وغير ذلك من الخرافات أدخلها الشيعة على الإسلام ـ وتحريم الكافيار أهونها !

ماتت المعشوقة !

قال لى أستاذنا الكبير مصطفى أمين : إن الرئيس عبد الناصر يريد هذين الكتابين وسوف يقرؤهما ويعيدهما إليك!

ولم أفهم . فالرئيس عبد الناصر يستطيع أن يأتى بهما فى أى وقت . . لعله مستعجل أو لعله يحب أن يأخذ ما فى أيدى الآخرين .

ولم أكد أصل إلى البيت حتى جاء ضابط طويل عريض ووراءه واحد ثان وقال لى : السيد مصطفى أمين كان قد حدثك عن كتابين . فقلت : نعم . . إنهما للرئيس عبد الناصر .

وهز الضابط رأسه بما معناه : هات الكتابين بسرعة وبلاش غلبة !

وكان الكتابان على مكتبى وهما : (صعود وسقوط الرايخ الثالث) للكاتب الأمريكى وليام شيرر . . والكتاب الثانى هو رواية (دكتور جيفاجو) من تأليف الأديب الروسى الثائر على الشيوعية بوريس باسترياك (١٨٩٠ ـ ١٩٦٠) والذى حصل على جائزة نوبل لروعة هذه الرواية . .

وكنت أول من حصل على هذين الكتابين فى مصر كلها . .

وأنا عادة لا أترك أية علامات عند القراءة . ولكن ألصق أوراقا ونزعت الأوراق . وفوجئت بأننى تركت علامات بالقلم الرصاص عند

بعض التعبيرات التى أعجبتنى أو التى تحتاج إلى أن أعود إليها عند التعليق على الكتاب . ومسحتها . ولا أعرف إن كنت قد مسحت كل العلامات . . وأعطيت الضابط الكتابين .

وفى اليوم التالى حكيت لمصطفى أمين ماحدث . وسألته : طبعا أنت الذى قلت للرئيس عبد الناصر بوجود هذين الكتابين عندى .

ولم أكن أصدق أن الرئيس عبد الناصر عنده وقت للقراءة . . أو يهمه ما أثير حول هذين الكتابين من ضجة فى الصحف الغربية . وخصوصا رواية (دكتور جيفاجو) التى منعوها فى روسيا فصدرت فى إيطاليا سنة ١٩٥٧ . وصارت فيلما من بطولة عمر الشريف والجميلة جولى كريستى .

أما المؤلف اليهودى بوريس باسترياك فقد فاز بجائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٥٨ . ولم يسمحوا له بالسفر إلى السويد ليتسلمها .

وإنما اضطروه إلى أن يعتذر عن عدم قبولها وعن عدم السفر لأن الحكومة السوفيتية رأت أن الجائزة ثمن للتمرد على الماركسية اللينينية . وجاء موت هذا الأديب فكان غامضا . وضعوا له السم أو وضعه هو .

مات الأديب وعاشت ثورته على الشيوعية وهذه التحفة الأدبية .

ومنذ أيام ماتت معشوقته أولجا (٨٣ عاما) بطلة الرواية . . وشاهدت الشعوب الشيوعية فيلم (دكتور جيفاجو) لأول مرة !

أستاذ الجميع!

هل تفضل أن يحبك الناس أو أن يخافك الناس؟

أى أن تكون لطيفا ظريفا وعلى مسافة قريبة من الناس تلمس أيديهم وحرارة أجسادهم وتنظر معهم فى اتجاه واحد .. ولا يراك أحد إلا أضاء وجهه فرحا بلقائك ..

أو إنك تفضل أن يحسب لك الناس حسابا أو ألف حساب .. فتكون فظيعا تتباعد عن الناس أو يترك لك الناس المكان والطريق. وعند رؤيتك ترتسم على وجوههم تكشيرة وفى قلوبهم عبارة واحدة : أعوذ بالله من أسوأ خلق الله ..

اخترت لك فيلسوف السفالة السياسية ومعبود الزعماء سرا وعلنا : نيكولو ماكيافللى (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) أستاذ موسولينى وغيره .. يقول لك : بل الأفضل أن تكون مكروها مخيفا . هذا أفضل لك فإن الناس سيتركون لك الطريق ويجعلون مسافة وفجوة بينك وبينهم ، ثم لا يطلبون منك شيئا ، ولو طلبوا فإنهم لا يتوقعون الاستجابة لهم .

ويقول : إما أن تكون محبوبا فهذا ينقص قدرك عند الناس . يقتربون منك يلمسونك ثم يتجرءون عليك . فإذا ضحكت معهم وداعبتهم ، كان ذلك خصما من احترامهم لك . فإذا أعطيت طالبوك بأكثر . وإذا تطوعت وأعطيت ، فهم يرون أن هذا العطاء

واجب عليك . . ثم إنهم يطالبون بعلاوة دورية . وفى هذه الحالة تكون ملزما بهذا العطاء . فإذا لم تفعل ثاروا وكرهوك وحقدوا عليك لأنك حرمتهم من راتب شهرى اعتمدت عليه حياتهم! فإذا كنت أبا أو رئيسا فى عمل هل تستشير أحدا ؟

يقول الفيلسوف الإيطالى ماكيافللى : إياك . . لا تفعل . لا تستشر أحدا . لأن الذى سوف تستشيره سيراك جاهلا . ضعيفا . فإذا استمعت إلى رأيه فإنه يذهب إلى الناس ويقول لولاه . . لولا رأيه لولا مشورته لغرقت أنت فى المتاعب والمشاكل . وأكبر دليل على ذلك فى التاريخ الإمبراطور ماكسميليان الأول . .كانت قراراته متضاربة . ثم صار مشلولا تماما . لماذا؟ لأنه كان فى صراع مستمر مع مستشاريه هم يقولون وهو يرفض ويعارض فيعارضون هم أيضا . . وكانت قراراته مهتزة متأرجحة فى النهاية . . والحل هو أن يكون قرارك فى بيتك وفى عملك من دماغك . قرار واحد وعلى مسئوليتك أخطأت أو أصبت ولم يتقدم التاريخ إلا بالقرار الواحد والرأى الواحد والرجل الواحد !

ولايزال ماكيافللى الذى مات فى القرن السادس عشر ، حيا يتوارى وراء كثيرين من القادة فى هذه الدنيا !

أبو حيان التوحيدى!

لم تعرف الفلسفة فى التاريخ رجلا أتعس ولا أفقر من الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدى الذى يحتفل مجلس الثقافة بمرور ألف عام عليه ـ حيا أو ميتا . وهو لم يكن حيا فى أى وقت . فقد كان شقيا بعمله وحكمته فى سوق الغوانى والسكارى والجهلاء والمنافقين .

ثم إنه كان إلى جانب جوعه ومرضه وفقره ومظهره القذر وعائلته الكبيرة كان دميم الوجه تماما مثل سقراط والجاحظ والحريرى والبحترى وأجمل كتبه (الإمتاع والمؤانسة) وهو عبارة عن أربعين ليلة من المناقشات والمعلومات والعبارات البديعة . تنتهى كل ليلة بنكتة . وهو فى هذا الكتاب قد وضع كل فلسفته وحكمته وتحايله على لقمة العيش . وخاتمة الكتاب موجعة للقلب ومؤسفة فلم يحدث أن تضرر مفكر وتعذب وعرض نفسه حتى هان على الناس!

أعجبنى ما رواه عن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذى كان شحيحا ولكنه يجزل العطاء للأدباء ولما سئل عن ذلك قال : إن فى محادثة الحكماء تلقيحا للعقل وترويحا للقلب وتسريحا للهم وتنقيحا للأدب!

وهذا أكبر دليل على سمو الذوق والحضارة . . وقال الشاعر ابن الرومى وهو على فراش الموت :

ولقد سئمت مآربى

وكان أطيبها خبيث

إلا الحديث فإنه

مثل اسمه أبدا حديث !

والخليفة عبد الملك بن مروان يقول : إنه قد ذاق كل ما فى الدنيا إلا محادثة الإخوان ، فهى أعظم من كل شىء !

ويقول التوحيدى (اسمه كذلك لأن والده كان يبيع نوعا من البلح اسمه التوحيد) نقلا عن سليمان بن عبد الملك أنه جرب كل شىء وذاق كل طعام وارتدى كل حرير ولكنه أحوج إلى جليس! ويقول التوحيدى : لأن النفس تمل والبدن يكل . وإذا البدن كل احتاج إلى الراحة ، والنفس إذا ملت طلبت الروح (بسكون الواو أى الراحة) .

وهذا الرجل الذى يتحدث عن الراحة لم يعرفها فى حياته . ولا عرف الطريق إليها . . وعندما عرف الطريق أهدرت كرامته . . ووقف يبيع حكمته كأنها سلعة بائرة . وكان إذا جلس وحده لعن اليوم الذى فيه قرأ وفكر . . ولقد حاول أن تكون له أية حرفة أخرى فلم يستطع . وحاول أن يعدل عن صناعة (نسخ) الكتب لأن خطه جميل ولأن صبره طويل ولأنه عاجز عن أى عمل آخر! يقول ـ مع الأسف والأسى ـ فى آخر كتابه (الإمتاع والمؤانسة) : أنقذنى من لبس الفقر ، أطلقنى من قيد الضر ، اجعلنى عبدا بالشكر ، استعمل لسانى بفنون المدح ، اكفنى مئونة الغذاء والعشاء . . إلخ .

عرض وطلب!

انها مسألة بيع وشراء . . فلماذا نغضب على الدخول الهائلة للراقصات ـ ليس كل الراقصات ولكن أبرع وأشهر الراقصات ـ فالراقصة فنانة تبيع خبرتها فى الأداء وتستثمر جسمها الجميل وعرضها الأنثوى وقوامها الموسيقى . إنها تبيع سلعة . .

وكل واحد منا له سلعة : الكلمة والخط والنغمة والتعبير . .

والراقصة مثل لاعب الكرة لها عمر افتراضى . فبعد سن معينة لا تستطيع أن تكون لها الليونة والمرونة . ولذلك فبعض الراقصات يدركن هذه الحقيقة مبكرا ويتجهن إلى التمثيل الذى هو أطول عمرا . . كما يتجه لاعب الكرة إلى التدريب والإدارة الكروية ويتجه المطرب إلى التلحين أو إلى التمثيل .

وسوف يؤدى رواج الرقص الشعبى إلى نوع من (الرقصمالية) . . فقد استوردنا راقصات من روسيا . . أجمل وأرشق وإن كن يجدن صعوبة فى التثنى الأنثوى الشرقى . . ولكن التدريب سوف يحول الراقصات من روسيا ومن ألمانيا وكندا إلى الخروج عن السطر وعن قواعد الرقص الأوروبى ويتمايلن ويتكسرن على المسرح كأنهن شرقيات . . وهؤلاء الراقصات يكسبن كثيرا أيضا .

وفى أمريكا وألمانيا وتركيا مدارس لتعليم الرقص الشرقى على الإيقاع الشرقى . وتحاول هذه المدارس أن تضع قواعد وأصولا للرقص

الشـرقى . فـلا شىء عند الخـواجـات بلا قـواعـد . . تمامـا كـالسلم الموسيقى . ولكننا لا نسعد بهذا الرقص الإيقاعى . . أى الرقص وفقا لإيقاعات غربية . وعندما سافرت سامية جمال إلى أمريكا وعادت كان رقصها وسطا بين الشرقى والإيقاعى فلم يسترح له أحد . .

وأذكر أن فريد الأطرش قال لى مرة فى بيروت : إن فى مصر راقصة واحدة تعانق الإيقاع الموسيقى هى عزة شريف أما الباقيات فلا علاقة لرقصهن بالموسيقى !

هل كـان فـريد الأطرش مـبـالغـا ؟ هل أراد أن يغـيظ راقـصـات أخريات ؟ وأكثر الراقصات المصريات احتراما واحتشاما هى فريدة فـهمى . فـهى فـراشـة ناعـمـة رقـيـقـة مـحـبـوبة . ولكن رقص فـريدة فـهـمى ليس هو الذى يعـود بالفلوس الـكـثـيـرة ، وإنما رقص فـيـفـى عـبـده ولوسى ودينا وقبل ذلك نجوى فـؤاد وسـهـير زكـى . أمـا تحيـة كاريوكا فقد جمعت بين الجمال والأداء المحترم والتمـثيل البارع . . ولم تدرك زمن الأفراح والليالى الملاح وعشـرات الألوف فى الليلة الواحدة ـ بناء على طلب وتهافت الجمهور . .

الكل يهاجمونه!

(١)

لابد أن يكون د . بطرس غالى سعيدا بالهجوم العنيف عليه من كل الدنيـا ، بما فى ذلك أهله من العرب وأقـاربه من المصريين . فـهم قـد تصوروا أن لـه قـوة خـارقـة على حل المشـاكل المعـقـدة فى الدنيـا . . وأن إهماله أو تعصبه هو الذى جعله لا يقدم على حلها . والحقيقة أنه ليس بهذه القوة فهو عمدة لقرية مظلومة مفلسة !

ولابد أن يكون سعيـدا عندما سمع الرئيس كلينتون أعلن مساعدته للأمم المتـحـدة وتسـوية ديون أمـريكا على مـسـئـوليـتـه وليس بموافـقـة الكونجرس . . لقد كانت هذه شهادة ميلاد لخمسين عاما قادمة . .

و د . بطرس غالى قد هاجمه المسلمون والمسيحيون والـيهود والبوذيون وربما سـكان الـكواكـب الأخـرى . . أمـا المصـريون فـقـالوا : إنه قـبطى متعصب ضد مسلمى البوسنة والصومال واتهموه وزوجته اليهودية وابن أخيه الشاب الصغير بأنهم جميعا يتاجرون فى المخدرات الصهيونية لتحطيم معنويات الشعب المصرى ـ تصور ؟ !

ولكن جـاءت شـهادة مـيـلاد جديدة لبطرس غـالى كتـبـهـا الرئيس كلينتون ووقع عليـها كل رؤسـاء الدنيا . . ففى حفل العشاء الذى أقيم لرؤسـاء الدول وقف الرئيس كلينتـون وأثنى على قـيـادة بطرس غـالى

وحيويته وصبره وإصراره وقدرته على الحسم . وأبدى إعجابه بالرؤية التى رسمها بطرس غالى لمستقبل الأمم المتحدة ، والعالم فى الخمسين عاما القادمة . .

وأبدى اعجابه العميق بجهود بطرس غالى فى التقريب بين الشعوب أملا فى أن تتحاور وتتفاهم أعمق . فقد أقام مؤتمرات ناجحة فى ريودى جانيرو وفيينا وكوبنهاجن والقاهرة وبكين . واستطاعت هذه المؤتمرات أن تحقق المعجزات فى سلام ومودة .

ولم يتحقق كل ذلك إلا بقيادة حكيمة وفهم ومثابرة وإصرار بطرس غالى .

وقال الرئيس كلينتون : إنه مما يشرف الولايات المتحدة أنها استضافت الأمم المتحدة خمسين عاما مضت ، ويسعدها أن تستضيفها خمسين عاما قادمة . ورغم الخلافات فى داخل الأمم المتحدة مع الولايات المتحدة ، فإن الولايات المتحدة ترى ذلك طبيعيا . . وترى أن من واجبها توفير الأمن لمندوبى كل الدول احتراما للرأى الآخر . . وتعميقا للديمقراطية والحرية والتسامح التى قامت عليها الولايات المتحدة . .

(٢)

أسعدنى أن أسمع صوت د . بطرس غالى فى التليفون ضاحكا مفرفشا وهو يقول لى : إنه الآن مشتوم بكل لغات الأرض!

فقلت له : ياسلام يا دكتور . . نحن كنا نتطلع إلى هذا اليوم فبدلا من أن تكون ملعونا فى لغة واحدة هى العربية فأنت فى كل اللغات !

د . بطرس غالى ابن نكتة ودمه خفيف وعنده ضحكة فولتيرية تذكرنا بضحكة أستاذنا طه حسين ، ويوم جاء وزيرا للخارجية كانت عنده حكايات عجيبة ، عن الوزارة وعن عدم وجود آلات كاتبة جيدة ، وعن عدم وجود أوراق وعن قواعد جافة خشنة .

وروى لى حكاية السفير المصرى الذى طلب اللقاء به قبل سفره ليتسلم عمله وجلس بطرس غالى ينتظر من السفير أن يسأله عن أسرار السياسة الخارجية وما الذى يقوله والذى لا يقوله ولكنه فوجئ بالسفير يطلب منه : أن يحدد له لائحة الجزاءات التى يمكن توقيعها على موظفى السفارة !

واندهش بطرس غالى وسأله إن كانت مهمته الأساسية هى عقاب الموظفين المصريين الذين لم يعرفهم بعد ولم يكن لدى السفير أية معلومات ولكنه فقط يريد أن يعرف كيف يعاقبهم ولم يسأل كيف يكافئهم أو يحتفى بهم أو يشجعهم واندهش السفير لدهشة د . بطرس غالى ، ورأى أن معاملة وزارة الخارجية لموظفيها فى غاية التسيب وعدم الضبط والربط ! !

وعنده حكايات ونوادر وطرائف لا أول لهـا ولا آخـر ، وعنده أحدث النكات ، وكانت آمال بطرس غالى أن يصفى تضخم موظفى الأمم المتحدة فمرتباتهم وبدلاتهم فادحة وأقول : كان من أحلامه أن يفعل ذلك ولكن له قدرات محدودة فهؤلاء الموظفون أبناء دول كبرى ولأنها كبرى فهى أكبر من بطرس غالى وأبقى ، وكان لابد أن يتوقف مشروع تصفية موظفى الأمم المتحدة .

وكثير من الدول لم تدفع مساهمتها فى ميزانية الأمم المتحدة ولكى تدفع لها مطالب وإلا والذى تستطيعه هذه الدول العظمى والكبرى كثير جدا ولكن الناس لا يعرفون فيهاجمون بطرس غالى وهو يفضل أن يشتموه على أن يشتم هو الدول العظمى والكبرى ! ثم إنها مادة للضحك الآن ولمذكراته بعد ذلك .

شعبى لماذا ؟

كان الأستاذ العقاد يعترض على كلمة شعبى ـ إذا كان المقصود بها عامة الناس . . أى الناس الذين فى الشارع أو على الأرصفة . . أو العمال والفلاحين . وكان العقاد يقول : إن الشعب أيضا هو الغنى والمثقف والعالم الكبير والسياسى . . كل هؤلاء جزء من الشعب . أما أن يقول إن هؤلاء شعب وهؤلاء ليسوا شعبا أو أعداء للشعب فهو استخدام سخيف لكلمة نبيلة . . وكان يرى أن كلمة شعبى أو أن شيئا له شعبية : أى يلقى اهتماما من أغلب الناس . . أى أنه منتشر بين أعداد كبيرة من المواطنين من الشعب . . فهل لو ظهر إنسان نظيف الملابس فى فيلم وكان فقيرا أيكون ذلك تزويرا للواقع ؟

هل كل فقير قذر ، وكل غنى نظيف ، هل الفلاح الذى يملك الملايين وعنده سيارات لا يكون من الشعب . . هل الشعب المتهم وليس القاضى . . إنه القاضى والمتهم والمحامى . . كلها نوعيات الشعب . فظهور إنسان نظيف منظم ليس تشويها للواقع . .

وحرص الأفلام المصرية على أن يكون ما هو شعبى قذرا بليدا كسولا منفرا حشاشا ، إهانة للمتفرج وتزوير للواقع وتشويه لكل ما هو مصرى . . ثم إنها ليست واقعية! ويقول صديقى المحامى الكبير لدى النقض أحمد شنن : لقد فات معظم منتجى الأفلام أن السوق العربية هى التى يوزع فيها إنتاجهم ، ومصر هى الرائدة فى الفن السينمائى ـ

فالقنوات التليفزيونية المتعددة زاخرة ، وبالتالى فقد كان واجبا على منتجينا أن يجعلوا صورتنا قريبة من الواقع الذى إن كان مرا أحيانا وفى الغالب ليس كذلك . حتى لا يقال إننا نعشق القذارة ونعيش بالمخدرات ، وهى أمور تعلم جيدا أنها ليست هى الواقع . على المنتجين أن ينتقوا المخرجين ، وكتاب السيناريو والحوار الذين يعشقون مصر ولا يفعلون مثل السائحين الذين يلتقطون المناظر التى لا يجدونها فى بلادهم . فيكون الفيلم سفيرنا إلى البلدان العربية وغيرها .

ويقول د . عبد المنعم جادو من شيكاغو : إنه لم يعد يعرف كيف يدافع عن هذه الصور القبيحة الموجودة فى أفلام مصرية كثيرة . كيف يعرض رجلا متعلما مثقفا يبصق فى الأرض ، وفى جيبه منديل ويتكلم فى قضايا سياسية هامة . . لقد تركزت عينى على هذه البصقة لاعتقادى أن أحد الأطباء سوف يلتقطها فورا ويحللها لإثبات جريمة أو مرض . . يعنى لابد أن يكون لها وظيفة فى الفيلم . . ولكن عرفت عند نهاية الفيلم أنها بصقة على وجهى وكل المثقفين فى مصر !

معك حق ونحن بدورنا نردها بأكبر منها للمؤلف وكاتب السيناريو والمخرج والمنتج !

القلم والقدم!

قال الشاعر القديم : حتى على الموت لا أخلو من الحسد!

لقد مات توفيق الحكيم وهو حزين على انحسار القلم أمام القدم . . فالذين يعيشون بأقدامهم فى الأهلى والزمالك ، يكسبون أضعاف ما يكسبه الذين يعيشون بالقلم . ومات الحكيم وهو يقول : مضى زمان القلم جاء زمان القدم .

فاللاعب يباع بالملايين ، ويموت الذين يكتبون بالقلم من عجزهم على الحياة بالملاليم . إن التليفزيون قد نقل لنا صورة أديب مجنون عاش عشرين عاما يترجم ملحمة (عوليس) للشاعر اليونانى المعاصر كازانتر إكس والذى أخرجت له السينما فيلم (زوربا) . فالملحمة من ٤٤ ألف بيت شعر . ترجمها المسكين وخرب بيته . ولا نزال نبحث عنه لكى نقول له رسميا : شكرا وإننا مستعدون لمكافأته ماديا وأدبيا . والله أعلم أين ذهب . لعله مات جائعا مريضا . مات كمدا لأن أحدا لم يدر به . فقد كان يغمس قلمه فى قلبه . . ونزف على الورق حتى مات عشرين مرة . . مات تعبا وحزنا ويأسا! ومنذ أيام سمعت الناقد الرياضى حمادة إمام يصف إحدى المباريات ويستخدم مثل هذه العبارات الأدبية : اللاعب فلان قرأ الملعب جيدا . . وعرف مفردات اللعبة . . وقد أطلق

قذيفة صحيحة . . وهذه اللعبات نقط مضيئة . . إيه ده . . يا ولد يا ولد . . شعر . . موسيقى . . يا ولد يا مايسترو . . يا فنان . . انهم يطبقون النظرية التى وضعها مدرب الفريق . . إنهم لم يخرجوا على النص . . ولذلك توالت الأهداف تهز الشبكة وقلوب الجماهير . . الله . . الله على هذه المنظومة !

هل هى كرة القدم تزحف على صناعة القلم؟ أو هل هو مجرد استخدام لمفردات الكتابة . . أو أن النقد الرياضى أكثر حيوية من النقد الأدبى ؟

نحن ـ إذن ـ فى زمن الكرة . . فى زمن الناس الذين يكتبون التاريخ بالجزمة ـ وعلينا أن نكسر أقلامنا ونمشى وراءهم معجبين بالتعبئة الجديدة لعلب ورقية قديمة . . أو بنقاد الرياضة الذين أصبحوا أدباء يلاحقون بأقلامهم أقدام اللاعبين !

سوف يبقى!

فى الرسالة التى حملنى إياها إمبراطور إيران وطلب منى أن أسلمها للرئيس السادات وأقسمت له أننى لن أنشرها ، قال له : لم يخدم الأمريكان أحد فى الشرق الأوسط كما فعلت ، والنتيجة أنهم اتفقوا مع خومينى ضدى . . وعندما كان كارتر يرقص مع زوجتى وأنا مع زوجته ، كان رئيس المخابرات الأمريكية فى انتظار خومينى . لا تأمن للأمريكان فإنهم أحفاد ميكافيللى أسوأ أنواع البشر .

وللتاريخ أقول : إن السادات حزن حزنا شديدا . ولكنه كان أكثر واقعية من الشاه . فالسادات يعرف أن الأخلاق لا علاقة لها بالسياسة ، وكان يقول : لو كان عندى بترول قطر أو حتى البحرين لفعلت بالأمريكان مالم يفعله أحد ، ولكن : العين بصيرة واليد قصيرة وكل الذى عندى شجاعة ولسان طويل!

يعنى إيه ؟ يعنى كل الذى نراه فى الشرق الأوسط تحريكات أمريكية على رقعة الشطرنج التى نحن عساكر فيها . والإدارة الأمريكية ، وليست الحكومة التى تأتى بها الانتخابات ، هى التى تلعب وتعبث وتشيل وتحط رئيسا بدلا من ملك ، وخفيرا بدلا من

وزير . . ونتوهم ونحن نتحرك بسرعة على الرقعة أنها حريتنا وحيويتنا ورؤيتنا ونظرتنا . . ولكن الفاعل الحقيقى هناك فى واشنطن وله عيون وآذان وأذرع وسيقان بيننا . وكل شىء بالفلوس والنفوذ !

يعنى إيه ؟ يعنى أن الأمريكان كذابون فى تآمرهم على صدام حسين .

سوف يبقى . لأن بقاءه أهم كثيرا من موته . . بقاؤه كسيرا مهيضا أهم من اختفائه ، وظهور طغاة صغار يحتاجون إلى أن يكبروا ويقاوموا ويثوروا على أمريكا أولا وعلى إسرائيل ثانيا وكل العرب الذين أكلوا عيشا وملحا مع إسرائيل .

يعنى إيه ؟ يعنى صدام لم ينته بعد ، وسوف يبقى بعبعا لسوريا والأردن ودول الخليج . . ومادام هناك خوف فهناك مهدئات . هذه المهدئات والمسكنات هى القوات الأمريكية التى تتقاضى أجرا على شهامتها بالدولار الذى يهد حيل دول الخليج فيجعلها تطرد العمال العرب . وتربك حياتهم . . وتربك الشرق الأوسط حتى يكون يوجوسلافيا أخرى ـ وليس لها حل !

أسفل عبقرى!

قد لا تعرف من هو العالم الفيزيائى الجبار ستيفن هوكنج ـ وليس من الضرورى أن تعرفه ـ فهو موهبة علمية وعنده قدره هائلة على أن يصور لك كيف بدأ الكون وكيف يستمر . . وأنه لا يوجد أى دليل علمى على أن لهذا الكون بداية أو نهاية . كيف؟ هو يقول ولا أستطيع ولا أنت ، أن نرد عليه . . وهو الذى كشف لنا حقيقة (الثقوب السوداء) فى الكون . . والثقوب السوداء معناها البسيط أن هناك نجوما وصلت إلى مرحلة التوحش فهى تبلع نفسها والنجوم حولها . . وتزداد جاذبيتها لدرجة أنها تبلع الأشعة الصادرة عنها ، ومادامت لا توجد أشعة فهى مظلمة . . كأنها بالوعات كونية مساحتها بألوف الملايين من الكيلو مترات . .

هذا الرجل ليس جبارا إلا فى عقله فقط ، أما جسمه وأخلاقه فضعيفة جدا ، عنده مرض فى الجهاز العصبى الحركى ولذلك فهو متكوم بعضه على بعض ويزن أربعين كيلو جراما . ويركب كرسيا له عجلات وهو عاجز عن الكلام . فصوته عبارة عن حشرجة يحولها جهاز خاص إلى أصوات كانت تفهمها زوجته التى أنجبت له ثلاثة أولاد وطلقها أخيرا وتزوج الممرضة التى طلقها من زوجها الذى اخترع هذا المقعد والأجهزة المعقدة الملحقة به . وقد كسب العالم البريطانى الكبير عشرين مليونا من

كتاب بديع من تأليفه عن الكون والثقوب السوداء ـ سهل العبارة جميل الأداء باهر الوضع .

زوجته الأولى تقول : إنها كانت تضعه فى البانيو كل يوم وتحميه . . وتهرس له الطعام بأسنانها قبل أن تقدمه له . . والإفطار يستغرق ساعة والغذاء ساعتين . . وصعوبات أخرى لا يتصورها العقل . هذا العبقرى المريض طلقها . سافل؟ نعم . .

ومن قبله ظهرت مذكرات زوجات (إينشتين) أكبر العقول الفيزيائية فى هذا القرن وأعمقها خيالا ، هذا الرجل كان لا يستحم شهورا . . وكانت تنبعث منه روائح كريهة ابتداء من الجزمة إلى أسنانه . . وكان أسرع إنسان يتزوج ويخون ويطلق ويفضح ، سافل؟ أسفل عبقرى !

ليلة الرعب!

عشرات من بنات الريف المتعلمات يتحدثن عن (ليلة الفزع) . . التى هى ليلة الدخلة . . فالفتاة لا تعرف إن كانت تفرح أو ترقع بالصوت من الرعب الدموى . . بعض الفتيات يصبن بحالات من التشنج العنيف . . لأن هذه الليلة لها طعم الفضيحة والفتاة التى على يقين من أخلاقها الفاضلة فى حالة قرف من وجود أناس فى نفس الغرفة . ولا يملك العروس والعريس إلا الإذعان لهذه العادة العنيفة . ولابد أن تترك الأسرة حل هذا الموقف للعروسين . فإن الطبل والزمر خارج الغرفة وتحت شباك غرفة العروسين يهدف إلى التغطية على صرخات العروس أو خناقات الداية مع العروس . . إلخ .

وقد قالت د . أميمة س . ل . . : إنها أم لثلاثة من الأولاد وبنتين . . وقد مضى على ليلة الدخلة هذه أكثر من عشرين عاما ولكنها ـ وهى المتعلمة وزوجها المتعلم ـ لا ينسيان ماذا حدث . . وكيف تدخلت الداية . . وكيف أصرت أم العروس وأم العريس على الحضور ، وعلى تعرية العروس وعلى انتظار النتيجة ! شىء فظيع جدا . إنها لا تعرف كيف تنسى تلك الليلة . ولم تنس أنها ظلت مريضة شهرا بعد ذلك ! . . وفى كل مرة تتذكر هذا الذى حدث تتلمس معدتها ورغبة شديدة فى القىء !

كتب أ . س . ن ـ مدير الإدارة فى إحدى الشركات ـ أنا الذى حذفت اسمه . . قال : لقد وقفت أمام باب الغرفة التى انفرد بها العريس والعروس التى هى ابنتى . والدموع فى عينى . فابنتى فاضلة مؤمنة رقيقة جدا . وأعرف مدى الرعب الذى سوف يصيبها . ولم أجرؤ أن أشرح لابنتى ماذا سيحدث ، وأهمية ذلك فى الريف عندنا . . ولو كانت أمها على قيد الحياة لطلبت إليها أن توضح الموقف لابنتنا . . وأنا أعرف حياء ابنتى . . والله ظللت أبكى على الباب . . وقد أغمى على فنقلونى إلى إحدى المستشفيات . . وفوجئت بابنتى بفستانها الأبيض وعريسها إلى جوارى فى غرفة الإنعاش . . ولما رأيت الابتسامة الحلوة على وجه ابنتى وأم العريس ، والعريس عادت إلى الحياة!! وبعد سنوات عرفت من الأطباء ان ابنتى لم تعد قادرة على الإنجاب بسبب الصدمة البشعة التى سببتها ليلة الدخلة !

يعنى بدلا من الفضيحة بجلاجل وطبل وزمر تحت شباك العروسين ، لماذا لا نترك العروسين وحدهما . . فهما المعنيان فى الدرجة الأولى . . ولا داعى للبهدلة والممارسة البدائية العنيفة الخشنة !



أمريكا قلبت الدنيا على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية ـ ولابد أن نؤيدها . لابد أن نوقعها . وإذا لم نوقعها فسوف تنطبق السماء علينا ولا تنطبق على إسرائيل والهند وباكستان وكل الدول العظمى . ولذلك ففرنسا لم تهتز لوعيد أمريكا وسوف تفجر قنابلها المتطورة فى جزر مروروا فى جنوب المحيط الهادى ، تماما كما فعلت الصين وروسيا . .

ولكن رئيس أصغر الجمهوريات فى الدنيا فضح السياسة الأمريكية . إنه لم يقصد ذلك لأنه متربع على حجر أمريكا اليوم ولخمسين عاما قادمة . الرجل هو الرئيس ناكامورا والجمهورية الجديدة هى بالو (٢٠٠ جزيرة وضعف مساحة القاهرة الكبرى) وسكانها عدد المتصعلكين فى شارعى ثروت وسليمان يوم الجمعة . لا يزيدون على ١٤ ألف نسمة والعاملون فيهم مواطنون فى الحكومة المركزية فى العاصمة كورو والباقى صيادون وفلاحون وهذه الجزر فيها ١٤٠٠ نوع من السمك و ٦٠٠ نوع من الشعب المرجانية) . . هذه الجزر احتلتها اليابان فى الحرب العالمية الأولى . وقام الأمريكان بطردهم سنة ١٩٤٤ . ومن يومها وهى محمية أمريكية تحت وصاية الأمم المتحدة وتديرها أمريكا وتبنى فيه أعظم قواعدها البحرية . وسوف تعطيها مساعدة تبلغ ٥١٧ مليون دولار

فى ١٥ عاما (لابد من الشرط لأنه لا توجد مساعدات لوجه الله) . . بشرط أن تقيم بها أمريكا قاعدة بحرية وبشرط آخر أنه فى حالة وقوع حرب أن تأوى إليها سفنها النووية . . سفنها إيه ؟ السفن النووية الجبارة التى تنطلق منها الصواريخ ذات الرءوس النووية فى الخمسين عاما القادمة !!

وهذه الجزر ينحدر أبناؤها من الملايو وجزر البولنيريا ، ولغتهم خليط من لغات ولهجات كثيرة . ولكن اللغة الأولى هى الإنجليزية طبعا . ولن تكون لهم مشكلة من أى نوع فهى (مستعمرة) أمريكية وسوف يحولها السياح الأمريكان إلى هاواى أخرى فى وقت قصير . وسوف تقام بها محطة تقوية لإذاعة صوت أمريكا . .

وسئل الرئيس ناكامورا إن كان يدرى ما الذى قاله عن الأسلحة النووية التى سوف تضعها أمريكا على أرض بلاده . فقال بمنتهى الوضوح والاعتزاز : أعرف ويسعدنى ذلك لأنهم سوف يوجهون هذه الأسلحة الفتاكة بعيدا عنا ! .

صلاح ذهنى!

شكرا للذين ذكرونا بسكرتير دار الأوبرا القديمة الصديق الأديب صلاح ذهنى ـ يوم كان رئيسها سليمان بك نجيب ووكيلها الشاعر عبد الرحمن صدقى . كان صلاح ذهنى محررا فى آخر ساعة وكان إنسانا رقيقا لطيفا . وكانت هوايته وحرفته القصة . وكان فى استطاعته أن يكتب أكثر . ولكن الأوبرا شغلته . . أو الحياة الرسمية . وقد عرفت صلاح ذهنى فى سنواته الأخيرة . ولم أكن أعرف أنها الأخيرة وإلا لجلست إليه أطول وأكثر . .

وفى يوم كنت عند سور حديقة الأزبكية . ووجدت كتابا عن الشاعر الألمانى «ريلكه» (١٨٧٥ ـ ١٩٢٦) وكان د . عبد الرحمن بدوى قد قدمه لنا . وجاء د . عبد الهادى أبو ريده وترجم رسائله فى مجلة (الثقافة) . ولكن الكتاب الذى وجدته يحكى عن غراميات ريلكه وكيف أنه أحب فتاة مصرية بديعة الجمال اسمها «نعمت علوى» وقرأت نصف الكتاب واقفا أمام سور الأزبكية . وأكملت الكتاب على المقهى المجاور لدار الأوبرا . وقررت أن أحكى لقراء آخر ساعة سنة ١٩٥٣ كيف مات الشاعر الرومانسى الجميل . وكتبت مقالا طويلا . وفوجئت بأن صلاح ذهنى مريض . وأن مرضه يشبه مرض الشاعر الألمانى . فذهبت وطلبت تأجيل نشر المقال حتى لا يقع فى يدى صلاح ذهنى . وكانت المفاجأة

الأسوأ أن صلاح ذهنى قد أجل سفره . ووقع المقال فى يده . وسمعته فى التليفون يقول لى : تعرف أننى مريض مثل الشاعر ريلكه! تعالى لكى أراك قبل سفرى إلى لندن .

وكان اللقاء فى كازينو بديعة ـ فى المكان الذى يشغله الآن فندق شيراتون الجزيرة ! ولم أذهب . فكيف أطيق أن أرى صديقا يعلم أنه سيموت . وإذا كان عنده أمل فى النجاة ، فإن مقالى هذا قد أكد له أنه لا أمل ! .

وحاولت أن أذهب إليه لكى أخفف عنه . . ولكى أؤكد له أنه ليس من الضرورى أن يلقى نفس المصير . وحاولت ذلك بينى وبين نفسى . ولم أستطع أن أذهب إليه أودعه وأتمنى له الشفاء .

يرحمه الله قد كان أشجع . فإحساسه بأنها النهاية جعله أكثر شفافية وأكثر يقينا واستسلاما لقضاء الله . . فصافحنى وهو يقول : إذن هى النهاية . البقية فى حياتك !

من أين جاءتنى كل هذه الدموع التى كانت ساترا كثيفا جعلنى لا أراه ولا أسمعه . يرحمه الله !

الوسطقراطية!

معظم المسرحيات الكوميدية تريد أن ترضى كل الأذواق وفى نفس الوقت أن تقـدم كل الأشكال أو الإطارات الدرامـيـة : غناء ورقص أو استـعـراض غنائى راقص . وهى بذلك تتـفـادى أن تكون للمسرحيـة قضية أو نظرية تقدمها بمشاكلها وحلولها الجادة أو الهزلية .

ويظهر أن المشاهد لا يريد وجع الدماغ فى التفكير . ولا يريد من أى أحد أن يحسم له مشكلته وأن يحلها فهو أيضا يسخر من مثل هذا الأسلوب فى التـشـخـيص والعـلاج فـقـد آمن المتـفـرج بأنه لا حل لمشاكله . . لا توجد حلول سياسية أو اقتصادية . . وأنها «ماشية كده والسلام . .» فالدنيا لا تتوقف ولا تنتظر أحدا . . فهى ماشية غلط ، أو ماشية صح . . ماشية . . وكله ماشى .

ولذلك فاليـأس من الحل هو الذى يدفـعـه لأن يضـحـك وأن يكون أضحوكة . فالمسرحيات كلها تسخر من المشاهدين ، حكاما ومحكومين والمشـاهد يدفع الكثـيـر وهو مـوافق تماما على أن يكون ملطشة للمخـرج والممثل والمؤلف . وهو مبسوط كده!

ولا توجـد ممثلة لا ترقص ، ولا ممثل أيضا . بل إن هناك ممثلين أكـثـر مـرونة من الممـثـلات فى هز الوسط والتـقـصع والتثنى . فـمـسـرحـيـة (حزمنى يا . .) لفـيـفى عبـده نموذج لذلك . فالـنـاس يذهبون ليـتـفـرجوا

عليها . . رشيقة بنت بلد لها حضور ، خفيفة الظل وفساتينها فى غاية الشياكة والأناقة . . وليس لها حركة واحدة نابية ، والممثلون حولها يموتون من الضحك وحسن حسنى ومحمد متولى ومدحت صالح وشريف منير ومحمد هنيدى وماجدة زكى . . وغيرها من المسرحيات .

وأصبحت القاعدة عند المشاهد المصرى أو العربى أن المسرحية الكوميدية التى لا تتضمن كل الأشكال الاستعراضية لا تستهويه . ولذلك كانت البطلات يرقصن لسبب أو لغير سبب . ولكن رغبة الجمهور هى السبب .

هز الوسط هو الذى يكسب الآن ـ إنها (الوسطو قراطية) هى التى تسود المسارح وتكسب بالمائة والخمسين ألفا فى الليلة الواحدة ـ فيفى عبده مثلا . .

وليس من حق أحد أن يطلب إلى المسارح الكوميدية قطاع خاص أن تعرض شوقى وشيكسبير وموليير . . لأن لها مكانا محترما على المسارح التعليمية الهادفة ـ مسارح الدولة أما الذين يبيعون القهقهة فهم الذين يرقصون ويغنون ويمسحون بالمشاهدين الأرض ويعجبهم ذلك !

ياسر عرفات !

الذين يتهمون ياسر عرفات بالخيانة والتصفوية والعمالة وبيع القضية هم الذين هاجموا السادات وهو يوقع معاهدة الصلح مع إسرائيل فى نفس المكان من حديقة البيت الأبيض منذ ١٧ عاما ـ وكان ياسر عرفات يتقدم كل الذين اتهموا مصر والسادات!

لا يهم ، إنها السياسة! ولقد أصبح السلام ضرورة حياة وقد استطاع السادات أن يقضى على (الحاجز النفسى) بين إسرائيل والعرب ونجح . ونجاحه مؤكد غدا مع سوريا ولبنان وبقية العرب فى الشرق الأوسط .

والذى حققه الشعب الفلسطينى ليس قليلا . والتضحيات التى بذلها أيضا . وقد انتهى الجانب الصعب من علاقات فلسطين وإسرائيل والباقى سهل . والشعب الفلسطينى قادر على أن يحل مشاكله السياسية والاقتصادية معا . . وسوف يساعده كل العالم على ذلك . وسوف تتضاءل المقاومة الفلسطينية لمسيرة السلام .

والذين يحلمون بسلام كامل من حقهم أن يحلموا . فالسلام الشامل حلم . ولكن السلام الطالع والنازل ، الساخن البارد هو الطبيعى . وهذا هو تطبيع العلاقات بين الحكومات والشعوب وبين الأفراد . وسوف ننتقل من حرب إلى سلام إلى اتفاق على الماء واختلاف على الهواء فى الشرق الأوسط وفى القارات . . وفى

الكواكب الأخرى . وفى نهاية الشهر القادم سوف تنفتح سوق الأوراق المالية فى عمان . . وسوف نرى حرب (السيف والذهب) فى بورصة السياسة والاقتصاد ، وسوف نرى وجوها عربية سافرة ووجوها إسرائيلية وراء الوجوه العربية . وكله بيع وشراء ومكسب وضرب وطرح . لقد توارت السياسة وظهر الاقتصاد أو تراجعت السياسة الاقتصادية ليبرز الاقتصاد السياسى .

وسوف يكسب هذه الجولة من يملك القرار الحاسم فالوقت خاطف . والفرص تتاح مرة . وقد ضاعت منا وعلينا فرص كثيرة .

ولكن من المناقشات والخوف واللامبالاة وانتظار التوجيهات سوف تضيع منا قمة عمان . وسوف نجد من يقول : ولاقمة ولا حاجة . . وليست عمان وإنما هى تل أبيب . . وليست دينارات وإنما شيكلات ودولارات . . إلى آخر اللغو العربى الذى أضاع الفرص الذهبية والمبادرات السياسية . . إلا إذا حدث شىء ساحق ماحق فى آخر لحظة . وكان بعض العالمين ببواطن الأمور يخشون ألا يحدث شىء !

صورة فراشة !

نشرت الصحف والمجلات والتليفزيون الصورة التى تكلفت ألف مليون دولار والصورة ليست واضحة . . وإنما هى كتلة من النار والنور والدخان والتراب والغازات ، وتبعد عنا ١٥ ألف سنة إذا تحركنا بسرعة الضوء التى هى ٣٥٠ ألف كيلو متر فى الثانية !

هذه الصورة التقطها المرصد الفضائى هابل الذى تكلف ألف مليون دولار وأطلقه الأمريكان سنة ١٩٩٠ . وأتى لنا بصورة عن نشأة الكون . . أو على الأصح بصورة لما كان عليه الكون بعد أن خلقه الله بألف مليون سنة . . لأن (هذا الكون الذى نراه أو نعرف أن عمره ١٥ ألف مليون سنة . ونحن لا نعرف إن كان هناك كون آخر ، أو هذا الكون قد خلقه الله وأباده قبل ذلك ألف مليون مرة . فنحن لا نعرف إلا (هذا) الكون ومن بعيد جدا . .

وقد لاحظ العلماء أن الصورة التى بعث بها المرصد لم تعد دقيقة . ولأن عدسات المرصد أصبحت قصيرة النظر . . ولابد من تغييرها وتصحيحها فبعثت بعدد من أكفأ رواد الفضاء وضعوا عدسات ملتصقة لعيون المرصد . . وصححوها . وعادوا إلى الأرض . وفى رأس السنة الماضية صدرت التعليمات إلى المرصد أن يتجه إلى مكان بعيد فى الكون إلى المجرة (م ـ ١٠٠) ويبعث بصورها إلى الأرض . ونفذ التعليمات ليصرخ العلماء على

الأرض : فقد كانت الصورة رائعة الألوان واضحة النجوم . . ألوف ملايين النجوم بأشكالها وأحجامها تدور حول مركزها بصورة حلزونية . .

وفى استطاعة العيون الجديدة أن تحل لنا مشكلة (البقع السوداء) والتى لم يرها أحد . . ولكن لها وجود نظرى . . فالبقع السوداء عبارة عن نجوم تبتلع ملايين النجوم . . وتشدها بعنف وتزداد كثافتها وجاذبيتها لدرجة أنها تبتلع الأشعة الصادرة عنها فتبدو مظلمة . . فهل هى نجوم متوحشة ، أو أن هناك مادة سوداء فى هذا الكون . هذا ما سوف يصوره لنا المرصد الفضائى هابل فى السنوات القادمة .

وفى استطاعة المرصد بعيونه الجديدة إذا كان يمر فوق القاهرة أن يصور فراشة ملونة فوق استاد القاهرة . . يسجل لها تنفسها المنتظم ، أو أن نفسها قد انقطع جريا وراء الفريق المصرى !

أما دافع الضرائب الأمريكى فيرى أن علماء الفلك أناس مجانين ، ويتساءلون : وإيه يعنى أن يكون عمر الكون ١٥ ألف مليون ، أو مليون مليون .

مين هناك ؟!

مازلنا نأسف على تلك الأيام الحلوة التى كان العسكرى يقف أول الشارع ويقول : مين هناك - ثم يبرم شاربه . وكانت ترتج له الجدران والأبواب ويقف الدم فى عروق الحرامية . كان زمان أيام كان سكان القاهرة مليونا والبيوت لا تعلو عن ثلاثة أدوار ولم يكن هناك ضوضاء الراديو والتليفزيون والميكروفونات والورش والسيارات . كانت الدنيا هادئة والشوارع خالية . . أما الآن فلا هذا العسكرى ولا ألف مثله يمكن أن يسمعهم أحد إذا قالوا ألف مرة : من هناك . .

القاهرة الآن ١٣ مليونا ومصر كلها ٥٦ مليونا . وليس فى استطاعة مصر . ولا أية دولة أخرى - أن تجعل رجال الأمن يطاردون اللصوص والمجرمين فقط وإنما يطاردون المهربين والمزورين والإرهاب الدولى المنظم بالفلوس واستغلال الحقد والجهل عند ألوف الشبان !

ولا يصح أن يكون رجال الأمن وحدهم فى هذه الدنيا إنما يجب أن يكون وراءهم ومعهم ملايين الناس . . فالشعب يجب أن يساعد ويساند رجال الأمن . . ونحن نرى فى الأفلام الأوروبية والأمريكية أناسا يسارعون إلى التليفون يبلغون عن حادث أو جريمة أو جسم غريب ملقى على الأرض . . ومن النادر أن تجد مثل ذلك فى الأفلام المصرية أو المسلسلات ، مع أن مثل هذه المشاهد توجيه

وتشجيع للناس . . وأنت نائم وأنت جالس تأكل وتشرب أو تتقلب في فراشك يكون رجال الأمن ساهرين مرهقين . . ولا يخطر على بالك ضآلة أجورهم وقلة ضماناتهم لأولادهم من بعدهم . . قد تقول : إنهم ولدوا ليموتوا دفاعا عنا . . وكذلك الجنود ولدوا ليموتوا نيابة عنا . . حرام عليك! فمن حقهم أن يعيشوا مثلنا وأن يستريحوا وأن يسعدوا . . ولذلك يجب أن نساعدهم ما استطعنا وأن نؤيدهم وأن نضعهم فى أعلى مكان . . لأنهم لا يكتفون بالعرق والدموع وإنما يبذلون حياتهم رخيصة ـ رخيصة جدا . . ورغم ذلك فهم على استعداد رجولى بطولى إنسانى أخلاقى إيمانى أن يموتوا فداء للوطن . . ودفاعا عن الذين لا يعرفونهم . .

شكرا جزيلا للرئيس مبارك على تحيته البالغة البليغة ، ولكل رجل أمن فى الشارع أو فى الحقل أو فى المصنع أو فى مكتبه . . فى عيدهم . ومادمنا أحياء فكل أيامنا أعياد والفضل لهم . .

السيد شمبانزى ؟!

قابلت العالم المصرى د . أحمد عبد العال عميد كلية الآداب والعلوم فى أطلانطا . . فالأمريكان يرون أن الأديب يجب أن يكون عالما ، والعالم يجب أن يكون أديبا . فالعلوم كلها متداخلة متعاونة ويؤدى بعضها إلى بعض .

قال لى د . أحمد عبد العال : إنه يشرف على مشروع قد رصدت له الدولة أربعين مليون دولار ، المشروع هو أن يعرف العلماء إن كان يمكن التفاهم مع القرود . . أى إن كانت للقرود لغة . . أو كانوا قادرين على فهم لغتنا . أو أن لهم عقولا تدرك وتعى وتتذكر . . أى كيف نفهمهم . . أو كيف نضع لهم لغة ليفهمونا . .

ويؤكد الباحثون أن القرود لها عقول . ولها قدرة سريعة على الفهم . على الرموز التى نضعها لها . . فقد صنع العلماء لوحات عليها رسومات ترمز إلى المعانى . وأن العلماء استطاعوا أن يدربوا القرود على فهم هذه الرموز التى تشير إلى رغباتهم وإلى رغباتنا أيضا . .

وقد روى لى د . عبد العال أن شمبانزى أنثى أصيبت بالشلل . فكانت عاجزة عن الحركة . وأنها تنظر بعينيها إلى القرود الأخرى . . وقد فهمت ابنتها حاجة أمها فكانت تجمع لها الطعام

وتضعه إلى جوارها . . مع أن الأم لم تطلب ولم تتسول . . ولكن الابنة فهمت من نظرات أمها ماذا تريد وهذا يدل على أن هناك وعيا وعقلا !

وليست القرود وحدها التى تعى ، وإنما كل الحيوانات والطيور . ولذلك عاشت . ولكننا نحن الذين لا ندرى هذه اللغات ولا كيف نترجمها أو نضيف إليها . . ولابد أن الإنسان قد تطور لأنه ابتكر لغة . وطور هذه اللغة وتطور بها وأبدع وتفوق ولايزال . .

ولو كانت للقرود لغة أو للحيوانات الأخرى ، لتطورت وتقدمت ، ولكن ليس بعيدا أن تتطور . . فالفوارق بين الحيوان والإنسان ليست كبيرة بل إن بين الإنسان والحيوان ٩٩٪ من التشابه والتطابق فى كل شىء .

ولو نظرنا إلى الشمبانزى جالسا فوق شجرة لوجدناه شامخا متعاليا على كل الحيوانات الأخرى لماذا؟ لأنه يرى أن الشمبانزى هو سيد الكائنات ، وأن الغابة بحيواناتها وطيورها مسخرة . . جميعا لخدمته ! .

لصوص الأرحام !

صفة جديدة ألصقت بالأطباء والجراحين بصفة خاصة ، هى أنهم لصوص الأرحام !

فهم يسرقون الأرحام من بطون النساء . ومنها يصنعون الأنسجة التى يستخدمونها فى تخصيب الأمهات اللاتى لا يلدن !

وهؤلاء الجراحون لا يكتفون بسرقة الرحم والمبايض وإنما يشجعون النساء على الإجهاض لكى يستخدموا نسيج الأجنة فى تخصيب النساء اللاتى تردن أن يحملن وأن يكون لهن أطفال ـ مهما كان عدد سنوات ما بعد انقطاع الحيض . .

إنها جريمة مستمرة : ففى العالم كله عائلات تريد أن تشترى أو تخطف الأطفال يملئون بها بيوتهم أو تزدان بها حياتهم . . وهى تجارة رائجة بين أمريكا اللاتينية وآسيا وأوروبا . وألوف الأطفال الجياع الضالين فى شوارع البرازيل قد بيعوا بأبخس الأسعار إلى الأغنياء العاجزين عن الإنجاب . .

بل إن بعض زبائن الأطفال يحبون أن يكون لهم أطفال حسب الطلب . . أن يكون أشقر أزرق العينين . . أو أسمر أخضر العينين . . طويلا . . قصيرا . . حسب الطلب . ويقوم تجار الأطفال

بالاتفاق مع طالبات الجامعة بالحمل والولادة على حساب التجار بشرط أن يأتين بالطفل المطلوب ووفقا لشروط الزبون !

لقد بدأت المسيرة بأطفال الأنابيب . . أى بأولاد فرانكشتين . . وبعد ذلك باستئجار السيدات يلدن لصالح سيدات أخريات . . وبعد ذلك جاءت (الهندسة الوراثية) تغير وتبدل وتقوم بتخليق أطفال على مزاج من يدفع أكثر . . وأخيرا السطو على أرحام الأمهات . استنادا إلى أن من حق كل امرأة أن تكون أما . .

وهناك وقف المجتمع العالمى على أطراف أصابعه يلعن أنانية الأم العجوز فى أن تكون أما . . دون أن تفكر فى الطفل الذى ولد يتيما ـ لأن الأم سوف تموت بعد آلام الولادة بيوم أو بسنة . فهذه جناية على الإنسان الصغير البرىء . قسوة من واحدة تريد أن تدفع أمامها عربة بها طفل يبكى بينما هى تتوكأ على عصا وتوهم نفسها بأنها لا تزال (نغنوغة) تحمل وتلد ـ منتهى القسوة !

النساجون الشرقيون !

الأديب يعبر بالكلمة . .

والرسام يعبر بالخط . .

والمثال يعبر بالكتلة . .

والموسيقار يعبر بالنغمة . .

وفى المعرض الدولى لصناعة السجاد ظهرت لوحات الفنان الكبير حسين بيكار كأنه يرسم بالحرير . . فلوحاته ناعمة وخطوطه مضيئة . ولم يكن أحد منا يتصور أن (النساجون الشرقيون) سيجعلون هذا التعبير حقيقة يلمسها الناس بأصابعهم . . فقد حولوا لوحات بيكار إلى خيوط من حرير وصوف . . وتَصدرت الجناح الذى هو معبد فرعونى أسود الجدران ذهبى الأعمدة متجها إلى السماء . .

لقد أصبحت اللوحات التى رسمها بيكار للأطفال من عشرات السنين ألوف المعلقات . . والفنان حسين بيكار لأنه عميق ، وله ممارسات فى الموسيقى والغناء وذوق رفيع فى التعبير . . ولأن صناعته ليست الأدب ، فهو إذا كتب فإنه ينحت تعبيراته بجهوده الذاتية الوجدانية ، وليس تقليدا لأحد من الأدباء القدماء أو المعاصرين . . وليس بين كل الصناعات المصرية . . صناعة واحدة

لها سمعة دولية ، ولها قدرة على التفوق إلا صناعة السجاد المصرى ، وهذه الصناعة المتطورة تدخل سنويا باقتدار فى كل معرض دولى فى أوروبا وأمريكا .

وكما أن هناك الكثير الذى يبعث على الأسف والأسى واليأس ، فإن مئات الشبان فى المدن الجديدة ، هم الذين يبعثون على الأمل . ويحققونه وينتقلون من الصعب إلى الإنجاز العظيم . . وهؤلاء الشبان قد نجحوا وتفوقوا لأن فرصا قد أتيحت لهم . . وهذه الفرص مدروسة علميا وتجاريا وتسويقيا . . لأنها تلاحق التطور التكنولوجى فى كل الدنيا .

والمعنى : أن القطاع الخاص قد درس وخطط وصمم وأعطى الفرص للشباب . . والقطاع الخاص هو المسئول وحده عن نهضة مصر كلها . . ولا يوجد سبيل آخر لأن تكون مصر شيئا هاما فى الدنيا إلا بمثل هذه التحديات الجادة ـ فى صناعة السجاد فى مصر . . والدليل على ذلك هذا المهرجان السنوى الذى يقيمه فى هانوفر بألمانيا رجل الأعمال اللامع محمد فريد خميس رئيس شركة (النساجون الشرقيون) . والجوائز الرفيعة التى يحصلون عليها . . لهم ولمصر !

وإيه يعنى ؟!

يبدو أن هناك ثقوبا فى كل باب حديدى أو ستار حديدى أو سور حديدى وفى القصر الملكى فى لندن ، فقد استطاع مواطن أن يتسلل من نوافذ القصر وأبوابه وأن يجلس على سرير الملكة وينتظرها حتى تصحو . وصحت ، وكان حديثا طويلا وفضيحة كبرى للأمن الملكى .

وتسلل أيضا أحد العاطلين إلى داخل القصر . .

وفى سنة ١٩٨٧ وقف أحد المواطنين يرقص فى إحدى نوافذ القصر ويلوح بيديه مستخفا بالحرس الملكى !

وفى الشهر الماضى هبط واحد عريان (ملط) بالبراشوت فوق سطح القصر الملكى ودفع غرامة قدرها مائتا جنيه !

ومنذ أيام تسلل شاب إلى غرفة ولى العهد وسرق بعض الهدايا القيمة التى كانت قد تلقاها الأمير من صديقته كاميلا التى أهدت له زراير ذهبية عليها الحرف الأول من اسمها ـ وبالمناسبة فقد خيروا ولى العهد بين العرش وبين صداقته لكاميلا . . فاختار العرش . .

كما أن شابا ألمانيا استطاع أن يخترق كل استحكامات روسيا ويهبط بطائرته أمام الكرملين وأصدر جورباتشوف قرارا بعزل وزير الدفاع ومائة ضابط .

أليس شيئا غريبا أن تكون الحراسة على الأسرة المالكة بهذا السوء أو بهذا التراخى الذى يؤدى إلى اتساع الثغرات التى يدخل منها المواطنون؟

إن مراجعة شاملة لكل أجهزة الأمن تجرى الآن حول القصر وفى داخله ، وحراسة ولى العهد الذى أطلق عليه عيار نارى (فشنك) فى أستراليا ورأينا الأمير لم يهتز لأن أعصابه قوية ، أو أنه بلا أعصاب . . وقد برأت المحكمة هذا الشاب من إزعاج الأمير أو الاعتداء عليه . . وكانت حجة المحامى عن هذا الشاب الآسيوى أن الأمير لم ينزعج . . بينما اعتذرت الملكة عن الإزعاج الذى سببته سيارتها المسرعة لأسرة بريطانية . .

ومن الغريب أن الإنجليز قد عثروا على عيوب فى نظام الحراسة على الأسرة المالكة . . ولكن من الممكن أن تقع أحداث أكثر خطورة . . ولكن المواطن الإنجليزى العادى يهز كتفيه ويقول : وإيه يعنى ؟!

وعليك أن تفهم على راحتك معنى هذا السؤال الاستنكارى !

مجنون ؟ لا !

فى مكة فندق اسمه (الشهداء) يقال : إنهم أقاموه بالتبرعات الكريمة من الناس على زوجات وأولاد الذين استشهدوا يوم الاعتداء الإجرامى على الكعبة الشريفة . . هذا الفندق استأجره أحد الأثرياء السعوديين بواحد وعشرين مليون ريال سنويا . والإدارة كلها مصرية . وكان عددنا خمسة أشخاص فى هذا الفندق . . فهى فترة استراحة بين ملايين المعتمرين فى رمضان . . وملايين الحجاج بعد أيام . .

وقالوا لنا : كان هنا محمود السعدنى وقالوا : دائما يهرج بكسر الهاء . أى أن السعدنى دائم الضحك والسخرية وحكى لهم قصته مع الرئيس صدام حسين والرئيس السادات . .

وقالوا : كان هناك إبراهيم نافع وهو لا يهرج أى أنه رجل جاد . قليل الكلام . .

ولابد أنهم سيقولون عنى أننى كثير الأسئلة ، ولابد أن أكون رجلا غريب الأطوار لأننى طلبت أن أرى جبل عرفات ومنى والمزدلفة ومسجد نمرة ، ومكان رجم إبليس وقد خلت تماما من الناس . . ففى موسم الحج لا أحد يرى الأرض والسماء . . أما الأرض فقد تغطت بملايين الناس يدوسون بعضهم بعضا . وينشغل الناس بمن وراءهم وأمامهم وخلفهم والعطش والحرارة ، ولذلك فهم

لا يرون السماء أيضا . . والطرق واسعة مرصوفة ناعمة . . ولم أكن أعرف ذلك . . وهناك علامات وإشارات فى كل مكان . ولم أكن قد رأيت ذلك . وأعمدة نور ومصابيح ودورات للمياه . . وأماكن للإسعاف . . وأشجار . . والأشجار تنثر رذاذا على رءوس الناس . ولم أكن قد رأيت ذلك . . وأنفاقا فى قلب الجبال لا تزال نظيفة جدا ومضاءة كأنها نهار . . ولم أكن قد لاحظت ذلك . .

أما الجبال المحيطة بعرفات فهى قاسية وصخورها مدببة عنيفة . . وعليها بيوت بيضاء صغيرة وبيوت كبيرة . . وفى وقفة عرفات كانت كلها بيضاء . . لأن الناس قد جلسوا وقاموا وناموا على كل أحجارها ودروبها . لأن الحج عرفة ـ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إن المسافة بين عرفات والكعبة الشريفة قصيرة ، ولكننا فى موسم الحج نقطعها فى ساعات وفى أفخم السيارات . . أما المشاة العراة فيوما أو بعض يوم . .

لست غريبا عجيبا لأننى أريد أن أرى ما لم يره أحد . بل مجنون إذا لم أفعل ذلك !

فراعنة عرب !

أكبر معرض للكتاب فى الدنيا هو معرض فرانكفورت . فلا كتب أكثر ولا أحدث ولا خدمات أفضل وأجمل وأسرع ولا نظام ولا نظافة أكمل .

ومن هذا المعرض يجب أن نتعلم الكثير . وقد كان الموضوع الذى اتخذه المعرض للمناقشة من كل الدول هو : (الإبداع والتجديد والالتزام) . وقد حضرت بعض الندوات وأسعدنى ذلك . .

وقد سارع د . سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب بعقد لجان متخصصة لدراسة ما يجب أن يكون عليها حال المعرض الدولى القادم فى القاهرة . أما النظافة فسوف تتولاها إحدى الشركات . هذا أفضل . وأما النظام فسوف يحاول وعلينا نحن أن نحاول ـ لأن النظافة والنظام فى أعماقنا وليست تجىء من خارجنا .

وتحدثت طويلا عن الذى رأيت وسمعت فى معرض فرانكفورت . وطالبت بأن يكون لنا نصيب فى ملاحقة نظم المعلومات الحديثة الجديدة عن طريق الكومبيوتر والشبكات العالمية . وطالبت بأن يكون هناك جناح ليتفرج زوار المعرض على استحضار المعلومات ونقلها من مصر ومن العالم الذى أصبح الآن عند أصابع أى طفل صغير . . وقد تقرر ذلك فى المعرض القادم .

وقد اتجهت اللجنة التى شكلها د . سرحان إلى العلم والعلماء قديما وحديثا . وإلى المنهج العلمى والروح العلمية . . وإلى (الهوية) . وهى أغرب ما اتجه إليه الأساتذة أعضاء اللجنة . . كأن هوية مصر قد ضاعت . بطاقتها الشخصية . . عقد زواجها . . رقم حساباتها السرية . . ولا بد أن أحكى نكتة . يقال : إن مخمورا راح يدور حول أحد أعمدة النور .

فجاء عسكرى الدورية يسأله : ما الذى ضاع منك؟

قال : مفتاح الشقة .

وسأله العسكرى : هناك ؟ . .

فقال المخمور : بل فى أول الشارع .

وعاد العسكرى يسأله : ولماذا تبحث عنه هنا ؟

فكان جواب المخمور : لأن هنا نورا ؟!

ولكن مادام هذا قرار عدد من كبار المثقفين ، فهى قضية إذن ـ ومن الممكن أن تكون قضية . . أو مشكلة . . ومادام شعور الضياع سائدا فى العقول وعلى الأقلام وبين الناس ، فليكن ما أرادوا . . مع أن قضايا معرض فرانكفورت هى القضايا التى تساوى الاهتمام بها . . وقد اهتم بها شعب لا يكف عن الإبداع فى العلم والتجديد فى الفكر والالتزام بالشعب الألمانى والروح الأوروبية . . ونحن لانزال نتساءل إن كنا عربا أو فراعنة . . مع ان الجواب بسيط : مصريون ، فراعنة الماضى ، عرب الحاضر ، أفروأسيويون غدا . . عالميون بعد غد . ومادام هذا الجواب ليس مقنعا فلا بأس من مداخلة ومعارضة . . وعدم تأجيله لأعوام قادمة !

لم تره أمه!

كنا نندهش لأن والدة أحد الوزراء كانت تطلبنا فى التليفون وتعتب علينا أننا ننشر صورة لابنها ليست فى جماله وحلاوته . . ومعها حق فهى أم وتريد أن يراه العالم كما تراه هى . . وسيما وحليوة . . وزيرا قد الدنيا !

وطلبنا من الوزير أن يبعث لنا بأروع صوره . وأظنه قد فعل . . هات صور الوزراء يوم يحلفون اليمين الدستورية وتأملها . . ثم انتظر عاما واحدا ولا أقول عشرة أو عشرين ، وقارن بين صورة الأمس وصورة اليوم . ماذا حدث؟ فإن لم تكن هذه هى الشيخوخة فهو الإرهاق والتوتر المستمر . . وأعباء المسئولية الفظيعة ليلا ونهارا وكلمات موجعة فى الصحف ومقالب من الزملاء الوزراء . وكلها تحطم الأعصاب وترفع الضغط وتطفش النوم وتمسك البطن !

وكان العرب القدامى يقولون : إنه يوجد دواء لكل شىء إلا الحماقة والشيخوخة ، ربما كانت الحماقة مسألة نسبية . ولكن الشيخوخة هى نهاية كل حى . . أو هى ما قبل النهاية . والشيخوخة ـ مثل الإيدز ـ لاعلاج لها . . فلا أحد يعرف بالضبط ماذا يحدث . . كيف تموت الخلايا وتضعف العضلات والصمامات والغدد . . وكيف يتساقط

الإنسـان من فوق لتحت . . شعـره ونظره وأسنانه وعضـلاته وقلبـه وعقله . . كيف؟

علماء الوراثة يقولون لنا : إن الإنسان يولد وفى داخل جسمه شهادة دفنه . . تاريخ الوفاة . أى العمر الافتراضى للجسم كله . . ومن الممكن إذا مات الإنسـان وفتحنا القبر عليه أن نجد شعره قد طال وكذلك أظافره . . والشعر والأظافر لا تحتاج إلى كل وظائف الجسم لكى تنمو يوما أو يومين . .

وليس صحيحا ما يقال من أن هناك عقاقير من أى نوع لإطالة العمر . . أو لعودة الشباب . كل هذا كلام ليس علميا . فلا شىء يعيد الشباب ولا شىء يطيل العمر ـ فنحن أولا لا نعرف ما هو عمر أى إنسان فنطيله . لا أحد يعرف . وقد يعيش المريض ويموت الطبيب ، ويعيش الشيخ ويموت الجنين فى بطن أمه ـ فالأعمار بيد الله . .

ولكن نستطيع أن نقول : إن هناك ما يرهق الجسم ويعذب النفس ويهدر الصحة ويعجل بالشيخوخة .

ولم تعش والدة السيد الوزير الوسيم لتراه عندما خرج من الوزارة ورياسة الوزارة . لقد كان كهلا تماما ، والشيخوخة والكهولة هى شرط لعبة الحكم والسياسة ، ثم هى طبيعة كل كائن حى !

بسبب القنبلة !

انخفضت أرقام ضيوف الفنادق الفرنسية وزوار متحف اللوفر وبرج إيفل . وكان الانخفاض كبيرا ولم يكن مفاجئا .

ففرنسا أثارت غضب العالم بإصرارها على تفجيراتها النووية فى جنوب المحيط الهادى . انفجارا بعد انفجار . صحيح أن فرنسا أكدت أنه لا خوف من هذه الانفجارات . ثم صورت عددا من المصطافين الفرنسيين بالقرب من أماكن الانفجار فلم يصابوا بأى أذى . . وكان ما جرى هو ارتفاع فى مياه المحيط . . وظهور بعض الدخان . . ثم هدوء كل شىء . تماما كما أعلن الرئيس الفرنسى شيراك . ولكن الناس قد تضايقوا من الموقف الفرنسى . وكان الأسيويون أكثر السياح سخطا ، وهم أكثر السياح عددا .

وشىء آخر وهو انفجارات الإرهابيين فى محطات المترو وفى الأماكن العامة . . وعلى الرغم من أن الأمن الفرنسى فى غاية القوة والدقة ، وكذلك المخابرات الفرنسية التى استطاعت أن تتابع الإرهابى العالمى كارلوس فى كل الدنيا حتى خطفته من الخرطوم وأودعته السجن وأحاطته بظلام وصمت تامين . . طبعا بعد أن اعتصرته تماما . . وراحت تسرب تفاصيل أدق مؤامراته على الحكام العرب واحدا واحدا ـ كل الحكام العرب دون استثناء بما فيهم الرئيس القذافى .

وحدث لفرنسا ما حدث لبريطانيا أيضا . .

فليست مصر ـ إذن ـ وحدها أعجوبة الزمان فى أن تعانى من الإرهاب وأن تقاومه بمنتهى القوة والحكمة حماية لمكاسب الجماهير من أبنائه الصغار . . بل إن الولايات المتحدة ـ بجلال قدرها ـ هى الأخرى تولاها الرعب واستنفرت كل قواتها فى كل مكان لتواجه الذين ينسفون العمارات والقطارات ويهبطون بطائراتهم تحت شباك نوم الرئيس الأمريكى . . وقبل ذلك رأينا طالبا ألمانيا يخترق الاتحاد السوفيتى من أوله لآخره حتى هبط فى الميدان الأحمر دون أن يدرى به أى جهاز ـ فضيحة الفضائح فى القرن العشرين!

فلم يخترع الإنسان حتى الآن جهازا لمعرفة ما يدور فى دماغ واحد قرر وحده لا ثانى له أن ينسف وأن يقتل ـ ولا حتى ما يدبره اثنان أو ثلاثة من الطائشين وتستوى فى ذلك أصغر دولة مثل سان مارينو ، وأكبر دولة مثل الولايات المتحدة ! !

مرهم للعين!

كنت قد كتبت عن أنابيب مرهم العين التى وجدتها مفتوحة وليس عليها لاتاريخ الإنتاج ولا تاريخ نهاية الصلاحية . وقد تلقيت ردا من السيد تشارلى سياريس العضو المنتدب لشركة فايزر منتجة هذا المرهم . يقول : نؤكد لسيادتكم أن المستحضرات التى توضع فى العين ، تنتج فى «المنطقة العقيمة» أى فى محيط يخلو من الميكروبات علما بأن تاريخ الصلاحية مختوم على نهاية الأنبوبة ولكن أوافقك فى أن قراءته صعبة بالنسبة للمستهلك ، كما أن جهاز البيع بالشركة يقوم بالكشف دوريا على تواريخ الصلاحية للأدوية لتغيير أى كمية من أى نوع تنتهى صلاحيتها . لذا أرجو من سيادتكم إعلامنا باسم وعنوان الصيدلية التى طلبتم منها مرهم (تراميسين) حتى يتسنى لنا مراجعة رصيدها وتبديله .

ثم تلقيت ردودا عديدة من الأطباء والصيادلة . وأجد الكفاية فيما قاله أ .د . حامد الشطوى أستاذ الصيدلانيات بجامعة الأزهر . يقول : إن ما حدث يعتبر مخالفة للاشتراط المطلوب لتغليف مراهم العين والمنصوص عليها بدستور الأدوية البريطانى وهو التغليف المنفرد لكل أنبوبة وبطريقة يتأكد منها عندالاستعمال أنه لم يسبق فتحها لسببين : أولهما ضمان العقامة عند بداية الاستعمال ذلك أن تعدد استعمال مرهم غير عقيم أو قطرة غير عقيمة يؤدى إلى

مضاعفات قد يكون أبسطها التهاب العين أو نقل عدوى جديدة مرورا بتقرح القرنية وانتهاء بفقدان النظر .

والسبب الثانى أنه لا يجوز استعمال مرهم أو قطرة العين بعد شهر واحد من تاريخ فتح العبوة مهما كان امتداد تاريخ الصلاحية بعد ذلك . . ذلك أن مجرد الفتح يعرض محتويات العبوة للتلوث . . ونطلب من وزارة الصحة سرعة سحب العبوات المفتوحة من التداول لمخالفتها لشروط العقامة ، أما الصيدلى الذى أرسل العلبة لتختار منها ما يعجبك فأغلب الظن أنه كان يطلعك على واقع الحال . وأخيرا اتفق معك فى أن الثقة بالدواء المصرى فى الخارج يجب ألا يقابلها عدم الثقة به فى الداخل فخطأ هنا أو هناك يجب ألا يعمم على كل إنتاج الدواء فى مصر وسحبه من التداول فى جميع دول العالم . أما الإهمال أو الاستغفال الذى أشرتم إليه فعلاجه عند الجهات الرقابية بوزارة الصحة هذا إذا لم تتعرض هى الأخرى لشىء من ذلك !

شكرا للدكتور الشطوى . . ولا أظن أننى فى حاجة إلى ذكر اسم الصيدلية فقد علمت أن هذه هى حال أنابيب المرهم فى كل صيدليات القاهرة !

تعصب أبيض!

على الرغم من أننى أؤكد دائما أننى لست متعصبا للدقهلية ، فإن بعض القراء يتهموننى بذلك . وبعض الكتاب العرب يتهموننى بالتعصب لمصر .

وأستاذنا الكبير على أمين الذى دعا إلى عيد الأم اتهموه بأنه كان متعصبا لأمه وليس لكل الأمهات؟! . ونادى كثيرون بعيد الأب وعيد الأسرة . ولست متعصبا للدقهلية ، وإنما أنا أدعو أن يفعل أبناء الأقاليم نفس الشىء . . فالحماس لبلادهم ، هو حماس لمصر كلها . .

وأكثر الذى أكتبه عن الناس جميعا وعن مصر وعن العالم . ولا يعيب إنسانا أنه يحب موطنه وأنه يحب أمه وابنه ويحب الأهلى ولا يحب الزمالك ، ويحب عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم وفايزة وفيروز ومايكل جاكسون وأنواعا مختلفة من السجائر واللحوم أو المصايف . فلابد أن يحب الإنسان شيئا ويفضله على بقية الأشياء . هذا طبيعى . ومادام طبيعيا فلا لوم !

ولا أحترم الذى يقول : أنا لا أحب مكانا ولا طعاما ولا أحدا . . أنا أحب كل شىء وكل الناس وكل الدنيا .

إننى أراه غير طبيعى . . وكأنه لم يقل شيئا .

تماما كالذى يقول : ضع أمامى أى طعام واخلطه بعضه ببعضه . . وسوف آكله . . لأننى لا أكره ولا أحب . . فأى شىء مثل أى شىء ! !

وقد حدث أيام كان على أمين فى الخمسينات يدعو لعيد الأم ، أن رأينا فى إعلانات الزواج والخطوبة أنه من ضمن مواصفات العروس : أنها تخرجت فى كلية كذا وأنها تجيد الطهى وتعشق الحياة العائلية وأن يكون لها أولاد . . وأنها تحب أمها !

تصور ! كان حب الأم شىء غريب . ولذلك لابد أن تضع ذلك فى مواصفات الزوجة الناجحة أو التى سوف تنجح فحب الأم غريزى وفضيلة وبديهى . . وكأنها تريد أن (تبرر) الدعوة لعيد الأم ؟ !

وهذا نوع من الحماس الشديد أو (التعصب الأبيض) الذى لا يضر ، ومن المؤكد أنه يفيد . . فإذا كان مثل هذا التعصب يؤدى إلى قيام مدارس ومكتبات وتجميل شوارع وجمع لقلوب الناس حول الذى يجب أن نحب جميعا ، فلا تتردد لحظة واحدة فى أن تفتح قلبك وتجاهر بعواطفك لأمك وابنك وبلدك ووطنك ولغتك !

فضائح السياسة!

لا شيء يجعلك تكره الديمقراطية إلا هذا الذى تراه فى أمريكا الآن . . ما الذى يريده الأمريكان من رئيسهم وبرئيسهم ؟كل يوم يجددون له الفضائح . . يريدونه أن يسقط قبل أن يفكر لحظة واحدة فى دخول الانتخابات مرة أخرى . لقد بدأت الحملة الانتخابية مبكرة جدا . . وهم بذلك يفسدون عليه هذا العام والذى يليه . . ويدفعونه إلى الارتباك والفشل !

فقد نفذ الرئيس كلينتون من عدة فضائح . من مغامرات قام بها أيام أن كان محافظا . . وأثناء المعركة الانتخابية شتمه الرئيس بوش وقال : إن كلبه ـ أى كلب بوش ـ يفهم فى السياسة الخارجية أكثر من كلينتون . تصور أن يكون هذا كلام رئيس عن رئيس ؟ ! وحاول بوش أن يعيره بأمه . وأمه لا يعيبها شىء . تزوجت مرة واثنين وثلاثا . زوجها الأول مات والثانى كان مخمورا ومات ، والثالث كان مريضا ومات . . وابنها كلينتون قد أخذ اسم زوجها الثانى ولكلينتون أخ غير شقيق سكير وأفاك ـ وهل كلينتون مسئول عن أخيه . وكارتر كان له أخ على صلة بالرئيس القذافى . . وبوش هل هو مسئول عن ابنه الذى أفلس أحد البنوك ؟ وهل كان ريجان مسئولا عن زوجته التى تصرف فلوسها على قراءة الفنجان والكف ؟ وفشلت الحملة ضد أم كلينتون . . وفشلت كل محاولات بوش أن يثبت أن كلينتون قد تظاهر ضد أمريكا عندما

كان طالبا فى بريطانيا . . وثبت أنه تظاهر ضد سياسة بلاده فى فيتنام ، فهو مثل عشرات الملايين من الشبان الأمريكان .

وأخيرا جدا ظهرت واحدة تقول هى وزوجها : إن الرئيس عندما كان محافظا بعث لها بأحد الحراس يدعوها إلى جناحه فى أحد الفنادق . . وأنه وأنها . . وذهبت إلى القضاء ولابد أن يقول الرئيس . وأن يدافع وعندها أدلة . . ولكن الدستور يمنع محاكمة الرئيس على أخطاء وقعت منه قبل أن يكون رئيسا . . ولكنها فضيحة سوف تتقاضى هذه السيدة بها مبالغ مالية كثيرة . .

وحكايات ومغامرات أخرى لزوجة الرئيس . . وقضية حبها للموظف الكبير الذى انتحر فى البيت الأبيض . .

لقد بدأت المعركة الانتخابية مبكرا جدا ، ليكون فشل الرئيس مبكرا أيضا ـ ويسمونها الديمقراطية . وهى ديمقراطية الفضيحة والقذارة . . والعار !

قوى الرعب!

لم يزعجنى ما قاله الزعيم الروسى المتطرف جرونفسكى . فمثل هذه الأصوات وهذه الوجوه طبيعية فى مراحل الانتقال العنيف . فالمجتمع الروسى ينتقل من اليسار الشيوعى إلى اليمين وإلى الوسط وسوف تستغرق هذه التحولات عدة سنوات . . خمسا أو عشرا . ولن يكون الوقت طويلا . . فروسيا دولة عظمى . بماضيها العريق وثوراتها العنيفة وقيادتها الجبارة لشعوبها وشعوب العالم . . ثم إن الذى أنجزته فى العالم قد تفوقت به على كل الدنيا ولا تزال روسيا أسبق من أمريكا فى علوم الفضاء والطيران وربما فى السلاح وفى حرب المعلومات .

وعلماؤها فى الذرة بعشرات الألوف وعلماؤها فى الفضاء بعشرينات الألوف .

وفى العالم الماضى بهرت روسيا العالم كله . . وهى جائعة . . بسفينة فضاء تضىء المدن الأوروبية الواحدة بعد الأخرى . . تضىء هذه المدن من فوق . . باستخدام مرايا عاكسة لضوء الشمس فتجعل الليل نهارا . . فإذا أظلمت المدن الأوروبية أو الآسيوية لأى سبب استطاعت سفن الفضاء الروسية أن تجعلها نهارا عشرات الأيام حتى تجد هذه المدن حلا لأعطالها الطارئة . .

ومنذ أيام اخترع الروس أعجب طائرة عرفها الإنسان . . إنها تطلع وتنزل وتنحنى فى لحظات . . وبسرعة وببطء . . إنها طائرة قادرة على أن تتجه إلى جميع الجهات بأية سرعة وفى أية لحظة . . ولا أحد يعرف كيف . . لا أحد يعرف مادتها ولا نظريتها ولا إن كانت هذه الطائرة تستطيع أن تحيط نفسها بمنطقة انعدام الوزن ـ وروسيا وعلماؤها لايجدون طعام يومهم . . ولايزال علماء روسيا المهاجرون إلى إسرائيل يبيعون البنزين فى المحطات فلا عمل لهم قبل أن يتعلموا اللغة العبرية ـ فهذا قانون وروسيا رفضت أن تبيع علماءها لمن يشتريهم من أمريكا ومن أوروبا وحرمت هجرتهم إلى الخارج لأنها سوف تحتاج إليهم ، إنهم أعظم ما ورثته من النظام الشيوعى . . وللروس أدب وفن وموسيقى . ولهم تاريخ عريق فى كل نشاط إنسانى والروس حتى إذا تسولوا فهم مرفوعو الرأس . ومن حقهم أن يتعاظموا اليوم وغدا .

إن أمريكا قد زادت مخاوفها من الروس والألمان واليابان والصين . فإذا كانت أمريكا هى الدولة العظمى فلن يكون ذلك طويلا حتى تتعادل موازين القوى . . قوى الرعب مرة أخرى !

النطق الجميل !

الفرنسيون شديدو الاعتزاز بلغتهم الجميلة القادرة على التعبير الدقيق عن كل شىء فى الفلسفة والأدب والعلوم . ولذلك يرفضون استخدام تعبيرات أمريكية أو أسماء إنجليزية للدلالة على ما يريدون . . ففى ذلك اتهام للغة الفرنسية . والحقيقة أن الاتهام لهم هم لأنهم لم يحاولوا . ولأنهم تصوروا أن التأمرك هو الموضة الجديدة ، وأن التمسك باللغة الفرنسية هى الموضة القديمة . . وظهرت الكلمات الأمريكية والإنجليزية فى الحوار ، وفى أسماء المحلات ، وفى الذى يكتبه الصحفيون والأدباء .

وأطلق العلماء على هذه اللغة الجديدة التى هى خليط من الفرنسية والإنجليزية بأنها (الفرنجليزية) !

وذهب الفرنسيون إلى أبعد من ذلك ـ أبعد من مجرد الرفض والاستنكار ـ إلى فرض عقوبات على من يفعل ذلك . . أى على من يهين لغته وقومه . . ولن تسمح الدولة بالترخيص لأى محل أو شركة أو مؤسسة لا تحمل اسما فرنسيا !

امش أنت فى جميع شوارع القاهرة والإسكندرية وسوف تجد عجائب الأسماء وأكثر هذه الأسماء مكتوبة خطأ . يعنى أن الذى اختار هذا الاسم الفرنسى أو الإنجليزى أو الروسى لم يعرف كيف ينطق الاسم ولا كيف يكتبه . . ولم نمنع أحدا من أن يفعل ذلك !

وحين نحاول استخدام بعض الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية فإننا ننطقها خطأ . . بل سمعت عددا من الوزراء الذين تعلموا فى أمريكا وبريطانيا ينطقونها خطأ أيضا . وكثير من الأخطاء فى نشرات الأخبار .

أما إذا تحدث الشباب فى التليفزيون فهى المصيبة الكبرى . إنهم لا ينطقون اللغة العربية نطقا صحيحا . إننى لا أطلب من أحد أن يراعى اسم إن وخبر كان . . ليس هذا ، ولكن فقط أن تفهم منه ما الذى يقوله . . إنه يتكلم بسرعة وتتساقط الحروف . . ويأكل المعانى ، فلا نعرف ماذا يريد أن يقول . فنحن لم نعلمهم فى مدارسنا وجامعاتنا النطق السليم للغة العربية . . أما اللغات الأخرى فالنطق بها أسوأ حالا .

كل ما أتمناه أن نطلب إلى مذيعات النشرة الإنجليزية والفرنسية أن يستمعن إلى زملائهن فى لندن وباريس ، وكيف يكون النطق الجميل والأداء الرزين . . فليست السرعة هى المطلوبة وإنما هو الوضوح ! .

المطلوب . .

لابد أن يكون المطلوب من الحوار الوطنى شيئا آخر غير الذى نعرفه .

ففى الصحف حوار عنيف بين الحكومة والمعارضة . ويعاب على المعارضة أنها «زودتها شوية» رغم أنه لا توجد حدود لحرية الإنسان فى أن يقول وأن يكيل ويرفع صوته وسوطه وأصبعه . . مادمنا جميعا وطنيين مخلصين لبلادنا . .

وفى الصحف القومية أو الوطنية حوار من كل لون ونوع وحجم . وفى التليفزيون مناقشات ومحاورات . وندوات وكذلك فى الإذاعة .

وفى مجلس الشعب والشورى كل أنواع الحوار العلنى الذى يشاهده الملايين على الشاشة . . بل إن الملايين شاهدوا الخناقات بين الوزراء والمعارضة ورأوا وسمعوا ما لا يصح أن يقال . ولكنها حرية القول مكفولة للجميع . ونحن حريصون على ذلك ، مهما كلفنا . وقد أعلن الرئيس مبارك أنه لا يتدخل فى توجيه الحوار أو النقاش ولن يطلب من أى ناقد مهما كان جارحا أن يقول كلاما آخر . . فهو حر مادام وطنيا مقتنعا بما يقول !

والحوار الوحيد المرفوض منا جميعا هو أن يلجأ بعض الناس إلى الرصاص ، تعبيرا عن وجهة نظره . .

فالمطلوب ـ إذن ـ هو : إن كان هذا الذى نديره فى الصحف وعلى الشاشات هو الحوار الوحيد الذى نعرفه ونقدر عليه ، فلنمض فى ذلك . . وإن لم يكن هذا هو الحوار النموذجى أو المثالى ، فما هو الحوار الذى نراه مناسبا علاجا ومصححا لمسيرتنا الفكرية والعلمية؟ أى أن المطلوب هو وضع (نظرية) . . للفكر والعمل . . هذه النظرية ليست واضحة فى كل خلافاتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . أى أن المطلوب هو تصحيح مسار الفكر الوطنى ، أملا فى التوجه السليم إلى مستقبل أفضل . فهل هذا هو المطلوب ، أو أن شيئا غير ذلك . . لا أحد يعرف . وإن كان الأمل دائما أن نقول كلام مفيدا له معنى وله هدف . وليس مجرد خطب وكلمات متقاطعة . فقد كبرنا وكبرت مشاكلنا والعالم من حولنا أسرع فى حل مشاكله . . وسوف ترى العجب العجاب فى قطاع غزة . . حلولا جديدة للمشاكل القديمة ثم المشاكل الجديدة وهجماتها على حدودنا وساحاتنا .

هذا هو المطلوب منا فهمه وتداركه واللحاق به !

على قد لحافى !

لاداعى لأن أخرج من الماء يائسا من أن أتعلم السباحة وقد أمضيت عمرى كله أحاول أن أؤمن بقوانين الطفو التى يحفظها أى تلميذ صغير والتى تقول : إنه لابد أن أطفو ـ أو لكى أكون دقيقا فإن هذا الطفو يحدث لنصف دقيقة ثم أجدنى واقفا مستسلما لجاذبية الأرض . .

ولذلك فأنا أنظر إلى السمكة الذهبية (رانيا علوانى) على أنها نوع من المستحيل . هى المستحيل . لأنها تقوم بسهولة بكل ما أجده شيئا صعبا . . فهى عندما تنزل إلى الماء تتحول بقدرة قادر إلى موجة . موجة من الماء تزحف على الماء . . كيف؟ لا أعرف . . وبسرعة تتلوى وتنثنى وتندفع إلى الأمام وتلف وتدور كما تريد : سهما . . قذيفة . . حوتا . . حزمة ضوئية . . إننى أرى ذلك نوعا من المعجزات . . إذ كيف يتحول أى إنسان من لحم ودم إلى ماء إلى طاقة . . إلى ضوء . .

ولولا الكسوف لطالبت بضرورة فحص جسم رانيا علوانى لكى أتأكد أنه من لحم وعظم ودم . . وليس من الخيوط الحريرية أو الألياف الصناعية .

كل سنة أقول لنفسى : يارجل عيب . . إن الإنسان قابل للتعليم مادام حيا . وأن تولستوى الأديب الروسى العظيم قد تعلم

ركوب البسكلت وهو فى السبعين من عمره . . وأن الأديب الإيطالى ألبرتو مورافيا الذى أصيب بشلل الأطفال تعلم أربع لغات فى السرير وتعلم الكتابة على الآلة وهو فى الأربعين !!

أذكر أننى سألت الأستاذ العقاد إن كان يعرف السباحة ، فأجاب مستنكرا : طبيعى يامولانا فأنا ولدت على شاطئ النيل !

يعنى يجب أن أحاول وليس من الضرورى أن أشترك فى سباحة المسافات الطويلة . . يكفى أن (أبلبط) بالقرب من الشاطئ بعيدا عن ضحكات الأطفال . . ويجب أن تكون آمالى على قدر (لحافى) ، وعلى قدر لحافى يجب أن أمدد ساقى وذراعى . . أما لحافى فهو قدرتى على أن أتعلم شيئا جديدا ؟ !

ولو مرة واحدة!

كان لى أصدقاء كثيرون من زعماء اليمن أيام الجمهورية الأولى ـ أيام المشير السلال ـ وكانوا يقولون : إن الروس عندما كانوا فى اليمن قدموا لنا الأرز والزبدة ودور العرض السينمائى . . أما المصريون فكانوا يقبلوننا ويوزعون علينا البيسكو مصر!

أهذا كل ما قدمناه لليمن؟! وكأننا لاحاربنا ولامات منا الألوف ولا أنفقنا مئات الملايين . . ولا كانت حرب اليمن كبرى هزائم مصر : فى السياسة والحرب والإدارة . وأن هذه الهزيمة قد أسعدت الغرب والشرق العربى أيضا حتى لا تكون مصر دولة زعيمة ، أو تتطلع إلى الزعامة العربية . .

وصديقى الأستاذ النعمان أحد زعماء اليمن هو الذى قال لى : إن الرئيس عبد الناصر قد أودعه السجن وإلى جواره الشاعر اليمنى الزبيرى ، دون أن يدرى أحدهما بالآخر . . وعندما خرج النعمان من السجن ، وكان معارضا للمشير السلال استدعاه الرئيس إلى بيته . وطلب إليه أن يختار قطعة شيكولاته ، وأن يقرأ بخته . . فقرأ الأستاذ النعمان ورقة تقول : عدو عاقل خير من صديق جاهل !

وضحك الرئيس عبد الناصر . . ثم طلب الأستاذ النعمان من الرئيس أن يجرب حظه هو الآخر . . وكان حظ الرئيس فى ورقة تقول : اتق شر من أحسنت إليه !

وضحك الاثنان . وكان المعنى مطابقا للحال . . والرسالة واضحة تماما . . فالنعمان أعقل من السلال ، وعلى الرئيس أن يحترس من الذين أحسن إليهم . . ولم يحترس !

والشعب اليمنى من أذكى الشعوب العربية . والجنوب أكثر دراية بالمال والاقتصاد وهم الذين نشروا الإسلام فى آسيا . . والشعب اليمنى قادر وحده على حل مشاكله . أما المصالحة أو الوفاق فليس حلا . وإنما هو تأجيل للحل . والشعبان يتلقيان مساعدات مالية ضخمة ليبقى الصراع مستمرا والقتال مستقرا . .

ومن المضحك ان يتصايح العرب وأن يطالبوا الرئيس (على) فى الشمال والرئيس (على) فى الجنوب ان يختارا مكانا محايدا ويتقدم كل واحد منهما ويبوس رأس الثانى ؟ !

وسوف تظهر صراعات أخرى فى الشرق العربى تنفيذا وتشجيعا لفلسفة (النظام العالمى الجديد) . . أما إذا أردنا علاجا لهذه الجراح ، فليكن حاسما واضحا . أى المطلوب مناجميعا هو أن نحسم ولو قضية واحدة ـ مرة واحدة فى هذا القرن !

حادث المشاكل!

لا جواب واضحا عن هذا السؤال : ما الذى فعله جورباتشوف بالاتحاد السوفيتى ؟

لا أحد يعرف ماذا حدث بالضبط ولا كيف؟ ولا لماذا؟ هل جورباتشوف الروسى الوطنى قد أراد أن ينقذ الشيوعية من الجمود العقلى والإرهاب السياسى والفقر الفلسفى ، أو الفلسفة الفقرية؟

من المؤكد أن جورباتشوف شيوعى كان ولايزال وقد أراد إصلاح الشيوعية من داخلها فسبقته الأحداث . . وتركته وطردته وأسقطته لدرجة أن الشعوب التى حررها اتهمته بالتخلف والرجعية وأنه خائن للشعوب السوفييتية !

وجورباتشوف قد تصاعد نجمه فيما بين ١٩٨١ حتى ١٩٩١ وكانت مرجريت تاتشر أول من تنبأ بغريزتها السياسية إلى أنه النجم الثاقب فى أواخر القرن العشرين . وطلبت من حليفها المفتون بها الرئيس ريجان ألا يرفع عينيه عن جورباتشوف وأن يساعده .

وقد تألق نجم جورباتشوف وأغرقه الغرب فى المديح حتى غرق . . لقد وقع جورباتشوف فى المصيدة الإعلامية التى يقع فيها كثير من زعماء العالم الثالث واحدا بعد واحد .

قالوا له : ياجمالك يا حلاوتك يا عظمتك يا حكمتك يا خلودك يا أيها الواحد الأحد !

وضاع الرجل! فلما وقع ، اختفى من أذنيه الطبل والزمر وقد أعماه بريق الكاميرات والشاشات ، ثم تدحرج إلى مصيدة الدولار .

ثم تلاشى الرجل وأصبح فى ذمة الأموات ، مع أنه مازال حيا فى صحة جيدة ، لقد انتهى دوره!

وظهرت عنه كتب آخرها كتاب (عشرة أيام هزت العالم) ـ وهى التى قامت فيها الثورة ضده فى موسكو .

والسؤال الذى نجده فى كل القصص البوليسية يقول : من الذى فعلها؟ من الذى قتل القتيل؟

هل هى أمريكا التى بدأت تطبق (النظام العالمى الجديد) بتفكيك وتفتيت كل الكتل السياسية أيا كان عرضها وطولها وعمقها . . فلما أسقطت (الاتحاد) السوفيتى . . انهارت كل الاتحادات الأخرى . . فى يوجوسلافيا وفى تشيكوسلوفاكيا .

وتحركت كل الخلافات العرقية والدينية والمذهبية . . وسوف يتردد ويتكرر ، ويتأكد ذلك فى كل القارات . فهل هذه هى الإجابة؟ أظن ذلك !

نحن عائلة!

يا سيدى لست متعصبا للمنصورة ـ أقولها كثيرا .

إنها بلدى ـ ولا أحد يقول لأحد أنه متعصب لأمه ، لأنه يحبها ، أو متعصب لمصر لأنها وطنه . فمن الطبيعى أن يكون أى إنسان كذلك .

فأنا أرى أن حبك لأهلك وبلدك ووطنك هو الأساس ويجب أن نكون جميعا كذلك .

وأن يعمل كل مواطن على خدمة موطنه . . سواء كان الموطن قرية أو مدينة أو محافظة أو دولة . . وفى ذلك تضامن عالمى لتخفيف ويلات الإنسانية كلها!

ولا يمضى وقت دون أن نلتقى ونتساءل : ما الذى يمكن عمله؟ كيف ننشئ مكتبة ؟ . . كيف ننشئ معهدا ومدرسة ؟ كيف نقوم بتجميل ميدان ، إقامة تمثال . . وضع سجل تاريخى لإنجازات أبناء الإقليم فى العلم والأدب والفن والطب والإدارة . وكيف تفوقوا فى مصر وأمريكا وأستراليا أما أثرياء المنصورة فيدفعون عشرات الملايين .

شئ عجيب أن تجد محافظ الدقهلية ـ وهو ليس من أبنائها ـ أكثر حماسا ، فالذى يراه من أبناء الدقهلية هو الصدق

والإخلاص فى رفعة بلدهم . فيكون هذا الحماس معديا فالمحافظون واحدا بعد واحد سبقونا إلى آمالنا .

وقد اتفق وزير الثقافة الفنان فاروق حسنى مع محافظ الدقهلية إبراهيم الشيخ وأنا على إجراء مسابقة لإقامة تمثال آخر لأم كلثوم وتجميل ميدان المحطة وترميم بيت ابن لقمان . . وإعادة تخطيط بعض الشوارع الرئيسية ، ووافق الأستاذ فاروق حسنى على الإنفاق على هذه المشاريع من صندوق التنمية الثقافية .

ويذهب الأستاذ محمد البلتاجى أمين الحزب الوطنى إلى ما هو أبعد وأعمق فهو يريد إنشاء (مجلس العائلة) من أعلام الدقهلية المعاصرين وعلى رأسهم شيخ الأزهر جاد الحق والشيخ الشعراوى ود . محمود شريف وعبده إسماعيل ود . مفيد شهاب وغيرهم لأن نلتقى وننظر فى الذى يمكن عمله من أجل رفاهية وتطور الدقهلية .

وفى استطاعة أبناء أى محافظة فى مصر أن يفعلوا نفس الشىء أو ما هو أفضل ، ولن يتهمنا أحد بالتعصب . . وإنما بالحماس لما هو واجب علينا نحو بلادنا . . أو نحو وطننا الصغير . . ومن حماسنا إلى أوطاننا الصغيرة نخدم وطننا الكبير . . ولا نستحق الشكر على ذلك فلا شكر على واجب .

يبدو ذلك!

كنا فى رحلة فى الاتحاد السوفيتى وجاءت المرافقة وألقت علينا التعليمات .

كيف نأكل وكيف نشرب وماذا سوف نرى؟

وتساءلت إن كان أحد يريد أن يعرف شيئا أكثر . ولم نجد ما نقوله . وأخيرا استوقفتنا لتقول لنا :

ولكن البوظة على حسابكم !

أى إن كل تكاليف الأكل والشرب والانتقال على حساب الحكومة أما (الآيس كريم) فعلى حسابنا نحن! وضحكنا .

واقتربت أسألها : يعنى إيه؟

فقالت بمنتهى الجدية والصرامة : إن الطبقة الكادحة فى الاتحاد السوفيتى ليست على استعداد أن تساهم فى رفاهية الضيوف «فالآيس كريم ليس ماء ولا أرزا» إنه ترف ادفعوه أنتم . لا نحن !

ورفعت يدى بأعظم سلام لها وللاتحاد السوفيتى . كلامها معقول .

فالدولة تقدم لنا ما هو ضرورى ، أما الذى ليس كذلك فعلى حسابنا نحن . ولكن الاتحاد السوفيتى لم يكن هكذا حكيما ولا منطقيا . وإنما كانت هناك سفاهة القيادة التى عاشت كلوردات

بريطانيا أو أغنياء أمريكا . والشعب لا يجد ما هو ضرورى . . وظل الغرب ينقل صور حياته فى التليفزيون ومع الوفود السياحية . . وظل الروس يسافرون إلى أوروبا وأمريكا ويقارنون بين الحياة الحيوانية التى يعيشونها وبين الحياة الإنسانية فى الدول الرأسمالية . . وليس صحيحا أن الشيوعى حيوان فيلسوف وأن الرأسمالى حيوان جاهل !

وانهارت الشيوعية بعد سبعين عاما . ومن تحت الأنقاض ظهرت كل النزعات والأحقاد المكتومة والقوميات والتجمعات العرقية والمذاهب الدينية وفى مقدمتها الإسلام .

شىء عجيب أن يظل المسلمون متمسكين بدينهم رغم القهر والفقر . أعجب من ذلك أن رئيس جمهورية البوسنة الذى دخل وخرج من السجن عشرات المرات قد أكمل كتابا عن الإسلام - أروع ما كتبه رجل أوروبى متحضر عن الدين الإسلامى فكان عظيم الثقافة واضح الفهم قوى الحجة . . ثم ظهر باللغة العربية تحفة إيمانية فلسفية !

فهل يا ترى سوف نترك ملايين المسلمين مرة أخرى عبيدا للشيوعية الجديدة؟ إن الدول الشيوعية السابقة بدأت تتحد ضد القوميات والعنصرية والأديان . . فهل تعود الشيوعية من جديد وتتوارى الأديان فى أغلال جديدة ؟

. . يبدو ذلك !

البداية : البيت !

الطفل الشرقى أصح من الطفل الغربى ومن الطفل الأمريكى لماذا؟ لأن الأم الشرقية ـ اليابانية والصينية ـ ترى أن ابنها فى رعايتها دائما . إذا دخل المدرسة وإذا تخرج فى الجامعة . وإذا تزوج أيضا . فالأمومة لا تنتهى أو يجب ألا تنتهى أو تخف وطأتها . ولكن الأم اليابانية ترى أنها أم حتى الموت . . ولذلك فمن المألوف إذا فشل الطفل اليابانى أو الصبى قالوا : إن والده ضعيف وأمه ليست متفرغة لتربيته .

أى أن اللوم على الأبوين . على الأسرة .

والأسرة اليابانية مستقرة جدا . لأن الأب لا يعمل إلا فى مكان واحد طول عمره . لا يغير عمله ولا سكنه هذا الاستقرار هو الذى جعل أركان الأسرة قوية متينة ، وجعل الابن سويا قويا !

والأم الأمريكية والأوروبية قد عاشت على أن تكون مستقلة الرأى ولها حريتها ولها قرارها دون تدخل من أحد . ولذلك فهى تربى الطفل كما تربت هى .

فإذا دخل الطفل المدرسة كبرت معه شخصيته وحريته فى اتخاذ القرار وأن يكون فرديا . وتقع الأم الأمريكية فى تناقض لا ينتهى : فهى تريد أن ترعى طفلها ، وفى نفس الوقت لا تريد أن تضغط عليه فهو حر . وفى سن المراهقة للبنت والولد ، يستقل

بحياته وقراره عن أبويه . وإذا فشل الطفل أو الشاب قالوا : إنه المجتمع أو هى الكباريهات أو هى المخدرات . . مع أن المخدرات ليست سببا ، وإنما هى نتيجة لما يعانيه الطفل والأسرة . والأسرة الغنية تترك أولادها للخادمات الزنوج !

والمرأة الأمريكية لابد أن تعمل كالرجل . والرجل يغير عمله ، والمرأة أيضا .

والمرأة مسئولة عن البيت سواء كانت زوجة أو مطلقة أو تعيش بمفردها . . أما المرأة اليابانية تعمل أو لا تعمل . هى حرة والمرأة اليابانية تقوم بأى عمل وتتدرج فيه دون ضجة .

أما الأمريكية فلابد من مواجهة أومصادمة مع الرجل . وقد تعود المرأة اليابانية إلى البيت ، ولاتشعر بالعار . . بينما الأمريكية لا تستطيع ذلك . .

إن البداية فى البيت . . فى رعاية الأم واستقرار الأسرة . . أبا وأما وطفلا . .

كيف ينطقونها؟

تكره مصر بلدك العزيزة الغالية إذا سمعت الرسميين والمتحذلقين وهم ينطقونها . ينطقونها مصر بكسر الميم وإضافة ياء بعدها !

وتندهش وأتساءل : ما عيب كلمة مصر بفتح الميم . فنحن فى كلامنا العادى ننطقها هكذا ولا نقصد بها دولة أخرى غير التى يتحدث عنها الرسميون . . ولا أعرف لماذا لا نكتفى بهذه التسمية (جمهورية مصر) ـ ولكننا نقول جمهورية مصر العربية . وهل هناك جمهورية مصر التركية والفارسية واللاتينية . فعندنا مصر واحدة . ومعروف أنها عربية!

ولا أفهم حتى الآن إطلاقنا اسم (قومى) على كل ما هو مصرى أومصرى وطنى . . فنقول النشيد (القومى) والفريق (القومى) والمعهد (القومى) . . وليس فى مصر شعوب مختلفة كالتى فى الاتحاد السوفيتى أو تشيكوسلوفاكيا أو يوجوسلافيا . . وإنما هو شعب واحد ولغة واحدة . ومصر هى الشعب الوحيد فى الشرق الأوسط المنسجم والذى يضم شعبا واحدا ، وليس سبعين شعبا كإسرائيل وثلاثة أو أربعة مثل العراق وسوريا والسودان ولبنان . .

ولكننا منذ الوحدة (الخيبانة الندمانة) مع سوريا ونحن نحاول بشتى الطرق أن نخفى اسم مصر كما أخفينا اسمى مصر وسوريا

فى كيان هلامى ضبابى وأسمينا أنفسنا الجمهورية العربية المتحدة . . ولم تكن متحدة ولن تكون . فلا أحد من الخليج إلى المحيط يريد هذه الوحدة تحت أى اسم . ولم تجمع الشعوب العربية على رأى صحيح منطقى إلا رفضها لهذه الوحدة الهزلية !

يجوز مستقبلا أن ترى الأجيال القادمة أن وحدة كالتى فى أوروبا من الممكن أن تحدث . . وهذا يقتضى وعيا ونضجا سياسيا واقتصاديا وفلسفيا عاليا . فالدول الأوروبية اتحدت رغم أنها تتكلم تسع لغات ورغم اختلاف نظمها السياسية : الجمهورية والملكية والاتحادية ورغم اختلاف مذاهبها الدينية كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت وعلمانيون وملحدون . واتحادها مصالح وحسابات وجمارك . أو إلغاء جمارك وفتح باب المنافسة للجميع فلا خوف من أحد على أحد .

وإن كانت هذه الوحدة تلقى صعوبات عديدة . ولكن هذه الدول الأوروبية الواعية الناجحة قادرة على أن تحل مشاكلها . . وهى بذلك مثل أعلى لغيرها من الدول المتقاربة المصالح . . إنها وحدة تريدها ، لا وحدة مفروضة عليها ـ يجوز بعد عشرين أو بعد ثمانين عاما !

حكومتان !

هناك نوعان من الحكومة : حكومة علماء وحكومة علمية . .

حكومة العلماء هى التى يكون فيها وزير الصحة طبيبا ووزير التربية أديبا ووزير الصناعة مهندسا ووزير الأوقاف شيخا ووزير الدفاع ضابطا عسكريا ووزير الداخلية ضابطا بوليسيا . . وهكذا . .

فكل وزير فى موقعه يفعل فى وزارته ما يراه مناسبا . لذلك فهو عادة يشيل وينكت فى الوزارة ويقلبها من فوق لتحت . . وأهم إنجازات هذا الوزير هو أن يؤكد للرأى العام أن سلفه العظيم كان لا يفهم أى شىء ولا يدرى لماذا أتوا به وأجلسوه على عرش هذه الوزارة . وقبل أن يثبت أنه هو آدمى وأنه مختلف تماما عن الوزير السابق يكون قد جاء عليه الدور لكى يلملم أوراقه ويذهب إلى النسيان الذى جاء منه .

فوزارة العلماء قلقة مهتزة . ولا أحد فيها يكمل عمل أحد . وإنما هو يبدأ من البداية . . وكلهم يبدءون ولا أحد ينتهى إلى أى شىء !

أما الحكومة العلمية : فهى التى لها سياسة . برنامج الخطة الخمسية الأولى والثانية . . وزارة لها ماض وحاضر ولها مستقبل . وكل شىء فيها واضح . والوزراء هم السياسيون الذين اختارهم الحزب الحاكم . جاءوا ينفذون السياسة الموضوعة . فإذا فشل الوزير جاء غيره ليكمل السياسة المتفق عليها .

وفى بريطانيا يوجد فى كل وزارة واحد اسمه الوكيل الدائم - أى الرجل الذى عنده كل القواعد والنظرية والتطبيق . ومهما تغير الحزب الحاكم وجاء رجال جدد فالوكيل الدائم قائم . وهو مصدر الاستقرار والاستمرار . وفى بريطانيا تقاليد متينة ، وهناك قضايا متفق عليها يجب ألا تدخل فى المزاد الانتخابى : دين الدولة والعرش والأمن القومى . . إلخ .

وفى أمريكا توجد الحكومة والإدارة . . أما الحكومة فهى المجموعة التى يختارها الرئيس الجديد من الوزراء والوكلاء والخبراء . وهو حر تماما فى ذلك . ولكن هناك الإدارة الأمريكية . . أى السياسة الأمريكية أو التقاليد والقواعد السرية للحكم والسياسة الخارجية . . فمن الصعب أن يمسها الرئيس ووزراؤه وإلا . . ونحن نرى فى أمريكا ماذا يحدث للرئيس ورجاله إذا حاولوا الخروج عن القواعد الثابتة لسياسات كثيرة . .

ولم يحدث أن قرأنا أن وزيرا فوجئ بما يفعله وزير آخر . . أو بأنه يكرر تنفيذ ما يفعله وزير آخر . . أو أن هناك تضاربا بين الوزارات . . لماذا ؟

والجواب : أن هناك خطة واضحة اتفقوا عليها . فليست الوزارة (عزبة) أى واحد منهم يعز من يشاء ويذل من يشاء !

رانيا علوانى !

لأننى لا أعرف السباحة ولا أمل فى أن أتعلمها فلم أكن أقرأ أخبار السباحة والبالية المائى . . فلقد اعتقدت فترة طويلة أن راقصات الباليه المائى يقفن على أيديهن وأرجلهن فوق أرض الحمام . . فلم يخطر على بالى أنهن معلقات فى الماء . . ولا أتصور كيف يقفزن إلى الحمام . .

ولكن الرئيس حسنى مبارك هو الذى نبهنى إلى رانيا علوانى . . ورحت أسأل وأقرأ . وطلبت أن أرى معجزة السباحة فى مصر والعالم . وجاءتنى رانيا ومعها السيدة الفاضلة والدتها . فتاة عادية الشكل . رشيقة طبعا . ولكن أين الموهبة الفريدة . . إن موهبتها لاتظهر وهى جالسة على الأرض ولكن فى الماء . ومنذ أيام فازت بالميدالية الذهبية الخامسة . . وتفوقت على بنات الدنيا . .

وسألت أهل العلم : ما حكاية هذه البطلة؟

وكان الجواب واحدا : إنها الموهبة وإنه الحقد . فالموهبة لها عيون والحقد أعمى . . وهى قد عرفت طريقها الذهبى . والحاقدون لا رأوا ولا يريدون الذهب فى يديها ويتمنون من الله أن تجف مياه البحار والحمامات فلا تتحرك رانيا ذهابا وإيابا إلى القمة العالية .

ولكن ما الذى جعل أحدا يحقد على الموهبة النبيلة الشريفة التى هى مفخرة لبنات جيلها وللسباحة ولمصر . لاشىء إنه الحقد إنه الحسد إنه التخريب والتشويه لمعالم مصر وبنات مصر وبراعم ومواهب مصر . .

جاءنى صديق رياضى كبير يقول لى : اسمعها منى . البنت دى لو هاجرت فمعها حق . إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى ينصرها . . أما لو تركناها لهؤلاء الأشرار ، فلن تخرج من مصر ولن تتفوق فى الدنيا . . وآدى ذقنى إذا قعدت فى مصر . . سوف تطفش وأنا مستعد أن أوصلها إلى سلم الطائرة وأدعو لها بالتوفيق كالنوابغ الذين تركوا مصر ففتح الله عليهم ، فاروق الباز وأحمد زويل فى أمريكا ومجدى يعقوب فى بريطانيا . . وعشرات من أبطال الرياضة الذين تركوا روسيا إلى أمريكا !

والجمعيات النسائية والهيئات النسائية التى تبحث لها عن قضية لإنصاف المرأة ورفع الظلم عنها أمامها الآن قضية من ذهب خالص وشرف رفيع !

لا كتب عربية !

من هؤلاء الفنانون الكبار الذين اختفوا تحت الأرض ، وأخرجت الكهوف لوحاتهم الفنية الرائعة؟ من هؤلاء الفنانون العظماء ، وما الذى أرادوا أن يقولوه لنا من الذى جرى منذ عشرين ألف سنة؟

فالفرنسيون قد اكتشفوا كهفا فى الجنوب ، الكهف عليه لوحات بالأصفر والأسود . اللون بديع . وعلى الجدران رسومات لحيوانات انقرضت . . أو حيوانات لم تعش فى فرنسا . . وهى نفس الحيوانات التى على الجانب الآخر من المحيط الأطلسى . أى إنها انتقلت من هنا إلى هناك أو من هناك إلى هنا . . الأبقار الوحشية والفيلة والأسود والضباع .

الكهف الذى اكتشفه الفرنسيون اتخذ اسم شوفيه وهو الرجل الذى اكتشفه وظل مذهولا أمام هذا الاكتشاف . . وخصوصا صورة اللبؤة التى تتجه نحو الفريسة فقد استطاع الفنان القديم أن يسجل الحركة والنظرة والانقضاض بمنتهى الدقة والقوة والبراعة . . كيف؟ من هو؟ ما الذى أراد أن يقول فى تجميعه لهذه الحيوانات معا . .

ولم يفت الفنان الذى رسم جدران هذا الكهف أن يرسم يده أيضا . . فقد ظهرت يده . . هل هذا معبد . . هل هذا متحف . . وإلى أين تتجه هذه الحيوانات الكثيرة إنها أروع لوحة رسمها إنسان قديم .

والفرنسيون أيضا هم الذين كشفوا لنا كل أسرار الفراعنة عندما عثر عالمهم الشاب شامبليون على (حجر رشيد) فعرفنا اللغة الفرعونية . . وانفتحت لنا كنوز المعلومات القديمة .

وكنا ـ قبل شامبليون ـ ننظر إلى آثارنا ولا نعرف ما هى ، والفرنسيون أيضا هم الذين كشفوا (كهوف تسيلى) فى جنوب ليبيا في منطقة جبارين . هذه الرسومات لأبقار متوحشة أيضا . . ولكن على جدران الكهوف الليبية توجد أجهزة طائرة كأنها سفن فضاء . . وكان الذين يقودونها بملابس شفافة كأنهم رواد فضاء بملابسهم الحديثة . هذه اللوحات الليبية اتخذها المفكرون ومؤلفو الخيال العلمى أكبر دليل على أن كائنات هبطت من الفضاء الخارجى وتركت آثارها على أرضنا وفى كهوفنا ولسبب لا نعرفه اختفت . . وأنها لاتزال تعود وتدور وتهبط وتراقب كل ما يجرى على الأرض وفى الفضاء الخارجى . . وهذا ما يقوله رواد الفضاء والعلماء . . ومن عشرين عاما كتبت عن سكان (الكواكب الأخرى) وهبوطهم إلى الأرض . . ويومها وبعدها قالوا : هذا تخريف . وقالوا : إنها منقولة عن كتب أوروبية !

وهل هناك كتب عربية أو محاولات مصرية للاتصال بسكان الكواكب الأخرى . . إنهم اليوم وغدا : العلماء الغربيون الذين كتبوا لأنهم تقدمونا فى كل فروع علوم الفضاء !

نحل آخر!

الأستاذ . .

خلال زيارتى لأهرام زوسر وميدوم واللاهون وغيرها من الآثار لاحظت وجود أعشاش رسوبية مهجورة تملأ الشقوق والفجوات بين الأحجار فتشوه معالمها الأثرية .

وقد درست هذه الظاهرة عشر سنوات وجمعت ٦٤ عينة وحللتها . فوجدتها مكونة من فتات الرمل والأحجار المتساقطة على الأرض والتى تحملها النحلة وتفرز عليها مادة عضوية تجعلها متماسكة . وبناء هذه الأعشاش الرسوبية ليس سهلا . فلو كانت رحلة النحلة عشرة أمتار ذهابا وإيابا لبناء عشها ، وظلت تحمل ذرة رمل حجمها مليمتر مكعب لبناء سنتيمتر مكعب لاحتاجت إلى قطع مسافة قدرها عشرة كيلو مترات . وإذا قامت ببناء متر مكعب واحد فإنها تحتاج إلى قطع مسافة ٢٥٠ مرة قطر الأرض . وإذا أقامت أعشاشا بحجم ١٥ مترا مكعبا لاحتاجت إلى مسافة ما بين الأرض والقمر ـ ١٥٠ مليون كيلو مترا!

وهذا يجعلنا نفكر طويلا فى كل شظية نكشطها من فوق وجه هذه الآثار العريقة العظيمة . . بل إننى أرى أنه لا داعى لكشطها إذا لم تكن ضرورة لذلك . . فهذه المواد القوية هى التى ساعدت

على تماسك بعض هذه الآثار فى مواجهة عوامل الطبيعة من تعرية ورطوبة وهزات أرضية .

د . سليمان محمود سليمان

قسم جيولوجيا عين شمس

كل يوم يكشف العلماء جديدا يؤكد أن هناك حكمة دقيقة للطبيعة . . للنبات والحيوان والإنسان ، وترابطهم جميعا من أجل البقاء .

وكان الفراعنة ـ قبل الأمريكان بألوف السنين ـ يستخدمون النحل فى تلقيح الفواكه . فكانوا يحملون ملايين النحل فى سفن نيلية . ثم يقفون بها أمام الحدائق أو الحقول . . ويطلقون النحل ساعة أو يوما . . وبعد أن يتم التقليح ينقلون النحل إلى مكان آخر . وهذا بالضبط ما يفعلونه فى أمريكا . فهم ينقلون النحل إلى الحدائق وإلى الحقول مقابل مبلغ من المال . . وكنا نرى فى هذا الأسلوب الأمريكى عجبا عجابا ، حتى أكد لنا علماء المصريات الأمريكان أن الفراعنة كانوا أسبق . . وأنهم كانوا يختارون أجود أنواع الذكور الملكات . . وأن رحلة السفينة التى تحمل النحل تنتهى عادة بكميات كبيرة من عسل النحل ـ هى خلاصة ما جمعه النحل من رحيق الزهور والورود . .

أما النحل الذى نتحدث عنه فليس هو نحل العسل . ولكن دوره خطير فى رأب الصدع وسد الثغرات يحتاج إلى دراسة . فهل ـ ياترى ـ نستطيع تدريب النحل لسد الثغرات وحقن الصخور كما فعل الروس فى السد العالى ؟ . . العلم الحديث يقول : ممكن . .

رائحة اللحم!

كل الناس ممثلون .. إلا بعض الممثلين. فالزعماء جميعا ممثلون .. فلا يكاد الزعيم يرى الناس حتى يتخذ شكلا ويرسم وجها وابتسامة ويرفع ذراعا ويتسع صدره ويقف على أطراف أصابعه. لماذا؟ لأنه مطلوب منه أن يبدو قويا بطلا. لأن الناس يريدونه كذلك. ولأن الناس يستمدون من قوته أمنهم، ومن عباراته نسيج حياتهم. حتى لو كان مريضا .. حتى لو كان حزينا .. حتى لو كان يائسا!

لم أكد أخرج من مائدة إفطار الزعماء الأربعة حتى فوجئت بأسئلة من كل شركات التليفزيون والصحف: كيف كان الإفطار؟ كيف كانوا؟ من الذى كان يكلم من؟ من الذى كان أكثرهم كلاما؟ هل كانوا يضحكون؟ ألم تسمع ولو كلمة واحدة؟ والموائد الأخرى من الذى كان يجلس مع من؟ ماذا قالوا؟ كم من الوقت استغرق الإفطار؟ هل أكل رابين وبيريز اللحم المصرى الذى ليس كوشير - أى مذبوحا على الطريقة اليهودية التى هى الطريقة الإسلامية بالضبط؟

بالذمة كيف تجيب على هذه الأسئلة وما الذى يستنتجونه من هؤلاء الذين يحملون هموم الدنيا فوق أدمغتهم .. مثلا لنفرض أن

رابين كان يأكل الفول وفجأة وجد فيه ظلطة . . فبسرعة فعل ما تفعله عادة . . والذى ينظر إلى رابين ولا يعرف ماذا حدث فما الذى ممكن أن يستنتجه ؟

وإذا فرضنا أن ياسر عرفات فى نفس اللحظة وجد فى الطبق ملبسة فضحك . فهل نربط بين الانزعاج الذى بدأ على وجه رابين والبهجة التى ظهرت على وجه أبو عمار . . ثم استغراق الرئيس مبارك والملك حسين فى الكلام . . هل نستنتج من ذلك أن الرئيس مبارك كان لا يعبأ وأن الملك حسين لا يهمه أن تنكسر أسنان رابين وأن تقف الملبسة فى زور أبو عمار . وأن يموت الاثنان معا ؟ !

ولكنها مهمة الصحافة والمخابرات : جمع المعلومات . . أية معلومات وإرسالها . وسوف يتولى خبراء المعلومات تسكين وتحليل هذه المعلومات لكى تظهر عند الضرورة اليوم أو غدا أو بعد سنة . . المهم ألا يفوت رجل المعلومات شيء صغيرا كان أم كبيرا!

وأنت ماذا أكلت؟ سألونى . وأنا أترك الإجابة للصديقين سمير رجب ورجب البنا فقد شاهدا حيرتى بحثا عن لقمة عيش وفتفوتة جبنة . فالأكل كله يفوح منه رائحة اللحم ، وأنا لا آكل اللحم . وليس بهذا الموقف أى مدلول سياسى فلا أنا شامت فى رابين ، ولا سعيد بعرفات وإنما تعيس بسبب ندرة الجبنة البيضاء !

دوى الصمت!

كنت قد طلبت من القوات المسلحة أن ترد على الذين يزيفون تاريخها العسكرى ويشوهون انتصاراتها ، ويحولون مجدها إلى عار ، ونصرها إلى هزيمة . . ولكن القوات المسلحة لا ترد أحدا ولا ترد على أحد!

طالبت القوات المسلحة أن تستمع ونسمع معها حكايات أبطالها . . من أفواههم . . وأن تفتح الطريق إلى أدبائها وشعرائها أن يقولوا وتتأمل ، أن يغنوا وتطرب . . أن يهمسوا وتكتب ونسجل معا تاريخ البطولة والأبطال على الشاشة الصغيرة والكبيرة . .

وكتب الألوف نوادر وحكايات ولم يبق إلا أن تحتويها أكثر من قصة ورواية ومسلسل وفيلم . .

واحد من أبطالنا هزه الذى كتبت فكتب . ونشر له «الأهرام» فصولا من رواية بعنوان (دوى الصمت) وقريبا سوف تصدر كتابا . إنه الأديب العميد بالقوات المسلحة علاء مصطفى . . ولم يهدأ نفسيا مع أن مهمته كأديب تنتهى عند هذا الحد .

أما أن تتحول الرواية إلى سينما أو مسرح ، فتلك مهمة الآخرين . . وكما أنه لم يحارب وحده . فليس دوره الأدبى أن يكتب ويصور ويخرج ويمثل هذه الرواية وحده . .

ولكن علاء مصطفى أديب وفنان أولا ، وضابط بعد ذلك . . أما الضابط فقد انتهى دوره من زمان . وأما الأديب فقد انتهى دوره أخيرا . ومن حقه على نفسه وأسرته أن يهدأ ليهدءوا ، وأن يسكن ليسكنوا . وأن ينام ليتمددوا إلى جواره وفى ظله . . فإذا كان الله قد نجاه من الموت ، فمن الواجب عليه أن ينقذ أهله وأولاده من الموت بقلمه وألمه . . مسكينة وتعيسة كل من تتزوج أديبا أو فنانا أوشاعرا . . فالفنان محكوم عليه بالعذاب ، فما ذنبها ؟ . . محكوم عليه بنصف الجنون ، فما جريمتها ؟ . . إلا إذا كان من رأى من تتزوج أديبا أن يكون لها نصيب من العذاب المفروض عليه ، ومن الشقاء الذى لاحيلة له فيه . فإذا كان هذا رأيها وقرارها وقدرها فلتشرب « هنيئا مريئا » ولتأكل لهيبا فى الدم ، وحريقا فى الأعصاب .

وحين تطلب هى الدواء والشفاء من هذا العذاب ، يكون الشاعر قد اعتاد عليه أما هى فلا . . ومنذ أيام جاءنى الشاعر (أ .م) بلدياتى ليقول لى : قررت أن أنتحر . وأن تكون أنت أول من يعلم ذلك . . ووصيتك أمى وإخواتى الأطفال ؟ !

والله ليس مجنونا ، ولكنه شهم فارس نبيل قرر أن يختصر عدد المجانين فى هذه الدنيا ـ يرحمه الله !

نعم متفائل !

كان السلام مستحيلا بين مصر وإسرائيل ، فأصبح ممكنا بين إسرائيل وكل العرب . والسبب هو المصلحة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وسخافة الدوران فى حالة الاستعداد للحرب ثم الحرب ثم البكاء على الذى كان واليأس مما يجب أن يكون .

هناك صعوبات كثيرة . ولكن مادمنا قد ارتضينا المفاوضات وسيلة وحيدة للحل ، فمعنى ذلك أن هناك وجهات نظر مختلفة . وأن محاولات مستمرة للتوفيق بين رغبات وأحلام كل الأطراف ولاتوجد سياسة واحدة تلقى قبولا عاما فى أى بلد . ففى إسرائيل أناس يريدون أن يلقوا برابين وبيريز فى البحر . وفى فلسطين يفضلون هذا المصير لياسر عرفات .

وكل هذا طبيعى . وهذا التشدد والتطرف يخدم المفاوض وقد يفسد عليه كل شىء فالعنف فى فلسطين يضعف من ياسر عرفات . ولكن يجب أن نجد عذرا لأبى عمار أيضا .

ولكن أبا عمار أصبح الآن شخصية بغيضة جدا فى إسرائيل ويليه إسحاق رابين . . والمزاج العام فى إسرائيل يريد أن يتخلص من حكومة رابين . . ولو حدث فلن تعلن إسرائيل الحرب . . فلا أحد يريد الحرب .

كم مضى من الوقت على دعوة السادات للفلسطينيين أن يجلسوا مع اليهود على مائدة واحدة وتحت العلم الفلسطينى؟ كم اتهاما لمصر حكومة وشعبا؟ ويمكن الرجوع إلى الصحف التى اتهمتنا بالخيانة والتصفوية وأحط الألفاظ من نفس الأفواه التى تتحدث إلينا وتقبلنا عمال على بطال . . إنها نفس الوجوه نفس الشفاه . . ويكفينا الآن شعورها بالخجل ويكفينا اعتذارها فى كل مناسبة وليس هذا غريبا فالسياسة صفقات وصفعات وقبلات . . وخناجر فى الظهر وأشواك ورد فى الوجه . . إنها فن السفالة الأنيقة !

سألتنى إذاعة إسرائيل فقلت : نعم متفائل هناك صعوبات . لا بد أن تكون وسوف تتضاءل نعم لابد أن تزول يوما بعد يوم وفى نفس الوقت ليس فى استطاعة هؤلاء التجار السماسرة من السياسيين أن يفرطوا فى شبر أرض بلا مقابل فكل شىء له ثمن . . وليس كل الأوراق على الترابيزة ولا كل المفاوضات أمام التليفزيون . . فقد أيقنا الآن أن أكثر المفاوضات كان بعيدا وسرا ووقتا طويلا . . وفوجئنا بالنتائج والتطبيع السريع . . هذا التطبيع السريع هو الذى أزعج سوريا وأضعف موقفها التفاوضى . فكان لابد من المساعدة والعون فسارع الرئيس مبارك إلى كل الأطراف يوفق بين كل الأطراف ولكن الرئيس مبارك ليس ضد السلام ولاضد التطبيع كما توهمت بعض صحف إسرائيل وأمريكا . يعنى متفائل ونحن أيضا . .

مهرجان الجنادرية

بسرعة هائلة تتطور السعودية . . معماريا وعلميا وثقافيا . . من ٢٥ عاما رأيت مدينة جدة ـ وهى أول المدن التى يراها الحاج أو المعتمر ـ لم يكن فيها سوى مطعم واحد على الكورنيش وكان يبهرنا بأسماكه التى تتلعبط فى أحواض زجاجية . . والماء يتناثر على وجوهنا . . أما الطريق إلى هذا المطعم فقد كان مرصوفا بأقدام الناس . . أى كان ترابا راح مستويا بضغط الناس عليه . . أما الآن فلا أعرف كم هى عشرات مطاعم الدرجة الأولى وفنادق الخمس نجوم وكم الناطحات وكم عدد الأسواق والمستشفيات العالمية والناس من كل دول العالم الأبيض والأصفر والأسمر والأسود والفساتين تحت الركبة وفوقها وبلا أكمام والوجوه المكشوفة . .

ومثل الذى حدث فى جدة حدث أيضا فى مكة والمدينة . . من الذى كان يتصور أن يكون فندق هيلتون مطلا على الحرم فترى وأنت تأكل وتشرب وتصلى الكعبة أمامك فتملأ عينيك دائما بنورها وظلالها وسحرها . . أما الرياض فهى أوسع وأكبر وأنظف مدن قارة آسيا . . فالشوارع طولها بالخمسين والسبعين كيلو مترا ولا عدد للجسور والمصابيح الكهربية والجامعات والعمارات والمستشفيات والمكتبات . . فليس غريبا أن يبدأ مهرجان الجنادرية بفكرة ثم يتحول إلى مهرجان سعودى ،

وبعد ذلك إلى مهرجان قومى وعالمى . فقد كانت البداية هى نقل مكان الهجن - أى الإبل - من داخل المدينة إلى خارجها . وبعد ذلك وبسرعة مذهلة تحول المشروع من سباق الإبل فقط إلى تسابق بين المناطق السعودية وفى الموسيقى والغناء والفنون الشعبية . . وبعد ذلك إلى أوبرا غنائية وموسيقية راقصة . . وتحولت الصحراء إلى مساحة من النور وإلى قاعات للمتاحف والمعارض وللضيوف . . وعشرات الفلل والفنادق . . ويتصادف فى موسم الجنادرية نزول السيول . . وفى العام الماضى هبطت السيول بقوة أوقعت العرض المسرحى . . وبسرعة تغطت أرضية العرض المسرحى . . وكان سقفا معماريا تكنولوجيا . . وكان الليزر يرتاد سماء العرض ويخترقه ويكتسح صفوف المتفرجين أيضا . .

وقد قال لى الأمير بدر بن عبد العزيز : إن مهرجان الجنادرية سوف يستضيف كل عام دولة عربية تقدم فنونها الشعبية وتراثها ، حتى يكون فى النهاية مهرجانا عربيا تشارك فيه كل الدول ثم يتحول كل ذلك إلى كتب وكاستات تربط بين العرب والمهرجانات الدولية الأخرى .

كفيلتسن؟!

أخيرا آمن الشيوعيون بالله . إنهم يقيمون الكنائس والمعابد فى روسيا . . إنهم يعقدون صلحا مع الله ويعتذرون له . . ويعودون إلى الثوابت القديمة : القيصر والكنيسة والجيش . .

وفى روسيا يجمعون التبرعات من الأغنياء الملحدين لبناء كنيسة (المسيح المخلص) التى كانوا قد أقاموها شكرا لله الذى نصرهم على نابليون . ثم جاء ستالين سنة ١٩٣١ ورفض أن يكون الله هو الذى نصرهم فهدم الكنيسة كما هدم كل الأديان التى تصلى لله . . أوتقول بوجوده . والشاويش جاجارين عندما دار حول الأرض وقال : ولكنى لم أجد الله . . لم يكن فيلسوفا ولا مفكرا ، وإنما هو ببغان جاهل ردد ما تقوله الشيوعية!

أكثر من ذلك ، فقد أعاد يلتسن إلى أذهان الروس راهب سيبيريا السفاح راسبوتين الذى آمنت به الإمبراطورة ألكسندرا زوجة القيصر ألكسندر الثانى . لأنه شفى ولى العهد من نزيف دائم . . ويقال : إنه كان عشيقها . . ولعشرات غيرها من النساء حتى قتلوه . .

أما الرئيس يلتسين الآن فقد أضاف إلى سكرتاريته الخاصة قارئة الكف والفنجان والكوتشينة والنجوم وواحدة مشهورة اسمها (جوما) . . شعرها أسود مصبوغ . وترتدى بدلة جنرال سوداء

محزقة ، وقد وضعت على كتفيها وصدرها كل النياشين الضرورية .

وأصبح يلتسين لا يقرر شيئا إلا إذا قالت له جوما : تقدم على بركة الله . .

فيهز رأسه معترضا على كلمة : الله . . وقد ظهرت (جوما) فى التليفزيون تقول : إنها ترى الرئيس كثيرا . ومن حق كل مواطن أن يصارح الرئيس بالحقيقة التى لا يعرفها . . والذين حوله قد أقاموا حاجزا عاليا كثيفا بينه وبين الناس . وهذه كبرى كوارث الحكم المطلق فى روسيا . وأنا أقول له ولا يهمنى . فليست لى أطماع . وإنما الحقيقة هى هدفنا جميعا . وأنا أشكر الله أنه يسمعنى ويأخذ بنصيحتى!

وليس الرئيس وحده ولكن كبار ضباط وزارة الدفاع يقرءون البخت كل يوم على الكومبيوتر ويتساءلون كل يوم إن كانت حرب الشيشان لها نهاية . . وهل هى نهايتهم مع يلتسين أيضا !

جوما تقول : لا . . سوف يبقى يلتسين لأنه رئيس قوى لدولة أغنى من أمريكا عشرين مرة !

لم يتركوا شيئاً !

قرأت فى مجلة «الدبلوماسى» مقالا لقنصل مصر فى هامبورج رخا أحمد حسن عن «ظاهرة البطالة الفكرية فى العالم العربى» . وأنا أخالفه فيما جاء فى أول المقال واتفق معه بعد ذلك .

فليست البطالة أن أكون جاهزا لأن أعمل ولكن لا أجد الفرصة . ولاحتى أن أعمل فقد أعمل فيما لايناسبنى ، وقد أعمل فيما يناسبنى ولكن ما الذى أعمله وما الذى أقوله؟ نفرض أن كاتبا مؤهلا تماما لما يكتبه . ولكن ما الذى يقوله . إنه يقول مالايقال . . أو هو ينظر ولكنه لا يرى . . فلم يكن هوميروس والمعرى والأعشى وطه حسين . . وعمار الشريعى من العميان . ولا كان بيتهوفن أطرش عندما أصيب بالصمم ـ ولكن الأعمى هو الذى لا يرى رغم أن له عينين . . والذى لا يسمع هو الذى له أذنان وكأنه بلا أذنين . ربما كان من المناسب أن أجد كلمة أخرى . فالذى لا يرى وكأنه يرى هو الذى له رؤية وليس رأى . هو الذى لا يلتزم بقضايا عصره . وفارق كبير بين أن تكون ملتزما وأن تكون ملزما .

فالالتزام هو أن ترى بوضوح وأن تسمع أيضا وأن تكون مسئولا عن نفسك وعن الآخرين ، ولذلك كانت الحرية عبئا ثقيلا .

فالحرية بلا مسئولية . والمثل الذى ضربه لنا الفيلسوف الوجودى سارتر هو أننا إذا قلنا لطفل : ماذا تريد ، فلم يشأ أن يختار بين الشيكولاتة واللعبة والفلوس فقلنا له : إذن أنت حر! فيبكى الطفل لأننا وضعناه أمام عدد من الخيارات وعليه أن يقرر وأن يتحمل مسئولية هذا القرار . وكذلك يفعل الكبار وبأشكال مختلفة . . فما الذى يقال الآن؟ وإلى من يقال؟ وما المعنى؟ وما هى حدود الالتزام وما قيمة الفكر بغير التزام؟ وما قيمة العمالة إذا كانت بطالة ؟

إن الإغريق لم يتركوا رمزا من رموز العمل والفكر لم يشرحوه ويوضحوه ويقنعونا به فأخوات الجرجون كانت الواحدة منهن إذا نظرت إلى شىء صار حجرا . . وهكذا تعذبت الجرجون بأن أحالت الدنيا حولها إلى صحارى وجبال . . لانبات ولا حيوان ولاحياة ولم يجد الإغريق حلا لهذه المأساة إلا بأن وضعوا المرايا أمام الجرجون . . فنظرت إلى نفسها فتحولت إلى أحجار . . وهذا حال المفكرين فى زماننا . ولم تعد مشكلتنا فى مصر ـ وهذا هو الأهم ـ إننا لا نجد أناسا يقولون وآخرين يسمعون . ولكن المشكلة أن الذين يقولون لا يقولون ـ فقد فرضوا البطالة على أنفسهم وعاقبوا جيلهم وزمانهم أما الذين يسمعون فقد تزاحمت فى أذانهم العبارات والشعارات والنكت المسرحية البذيئة ثم إنهم لا يصدقون أحدا . . لم يعودوا يصدقون! فإذا لم يكن ذلك نوعا من الإلحاد الثقافى ، فإننى لا أجد تعبيرا مناسبا الآن . وقد صدر لى كتاب منذ أيام فيه كثير مما أريد ومما يريد الأستاذ رخا . . الكتاب عنوانه : « لو جاء نوح ؟ ! »

العقول تنزف!

ظهر تعبير (نزيف العقول) بعد الحرب العالمية الثانية حين تسرب العلماء الإنجليز إلى أمريكا هربا من الضرائب الفادحة ومن عجز الحكومة عن تدبير المال اللازم للبحث العلمى . وأمريكا قامت على المهاجرين من القارات الأخرى . . فرارا من الاضطهاد الدينى والسياسى وحرصا على استمرارهم فى البحث العلمى . .

ولا أحد يعرف كم عدد العلماء والأدباء الذين هاجروا إلى أمريكا ، كما أن أمريكا قد اقتسمت العلماء الألمان مع روسيا . بل إن أمريكا قد استولت على قاعدة الصواريخ الألمانية ، وعلى المخترع الألمانى فوق براون وجميع مساعديه . ولولا هؤلاء الألمان ما استطاعت أمريكا اللحاق بالروس فى الفضاء ثم التفوق عليهم بعد ذلك . .

وما فعله الإنجليز المهاجرون قد شجع عددا من العلماء والباحثين والمخترعين على الهجرة إلى أمريكا . وبدأت الحروب السرية بين روسيا وأمريكا واليابان فى الحصول على المعلومات وعلى العلماء من جميع التخصصات . .

وفجأة بدأ العلماء الإنجليز يعودون إلى بلادهم وخصوصا أساتذة الجامعات . ففى العشرين عاما الماضية عاد إلى الجامعات وهيئات

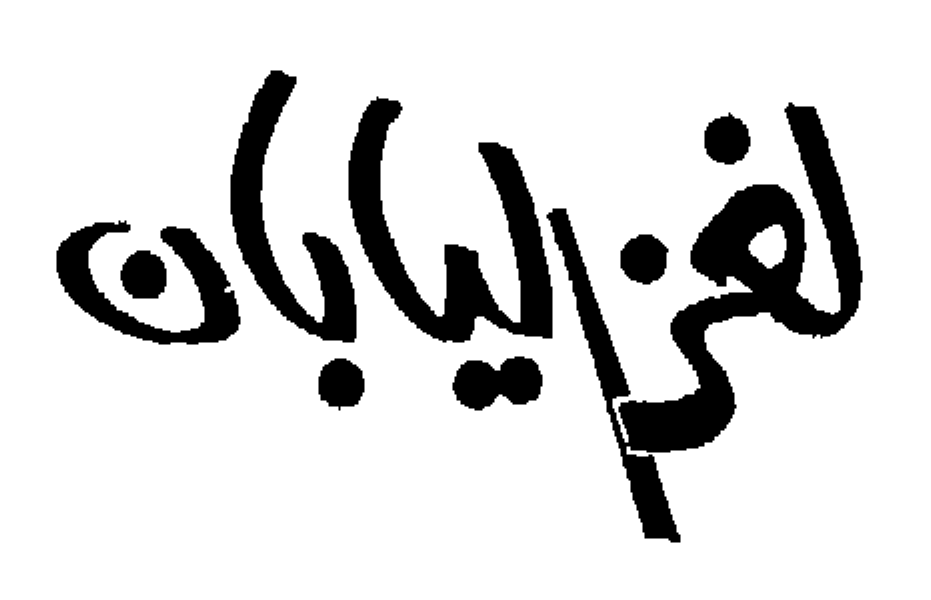
البحث فى بريطانيا ٧٥٪ من المهاجرين إلى أمريكا . . ورغم أن مرتبات أساتذة الجامعة فى أمريكا تتراوح بين ٦٥ ألف دولار و ١٣٠ ألف دولار سنويا فإن مرتب أستاذ الجامعة فى بريطانيا بين ٣٠ ألف دولار و ٤٥ ألف دولار سنويا . .

ولكن الشيء الجديد الذى أعاد العلماء إلى أوطانهم هو أن بريطانيا قد ضاعفت ميزانية البحث العلمى للهيئات والوزارات والجامعات .

وأهم من كل ذلك أن بريطانيا قد وضعت فى المقام الأول ميزانية الأبحاث النظرية والتى يبدو أنها بلا فائدة عملية . ولكن بريطانيا التى أنجبت عقلا عبقريا مثل نيوتن قد عادت إلى فتح المجال أمام العلماء الذين أفنوا حياتهم فى الأبحاث النظرية فى الرياضيات وفى الفلك . . إيمانا من الأساتذة فى بريطانيا بأنه لا توجد فواصل بين ما هو نظرى وما هو علمى . . وأنه لولا الأبحاث والنظريات المجردة ما تقدم العلم التطبيقى خطوة واحدة ولذلك لم يكن غريبا أن يعود إلى بريطانيا عدد كبير من أساتذة الرياضيات .

وقد نشرت مجلة (العلوم البريطانية) أن أحد العلماء العائدين من أمريكا قد طلب إجازة شهرا . فجاءته الموافقة فورا ومع الموافقة هذه العبارة : هكذا فعل نيوتن قبل اكتشافه قوانين الحركة !

فإذا أردنا - نحن فى مصر - أن نستعيد علماءنا فيجب أن نفعل ما فعلته بريطانيا ! !



حكايات وروايات وأساطير تقال عن الشعب اليابانى ومقدرته الفذة على أن يعرف احتياجات السوق فى كل مكان . ولذلك ينتج بالضبط ما يريده الناس وما يضارب به ويكسب كل السلع المنافسة له . فاكتساح السلع اليابانية لكل السلع الأخرى جاء نتيجة دراسة وفهم لما يريده الناس فى كل القارات .

ومما يفعله اليابانيون بأنفسهم أنهم يقيسون الرأى العام كل خمس سنوات ليعرفوا ما الذى طرأ من تغير على ذوق ومزاج ونفسية المواطن اليابانى . . وهو الأولى بالرعاية والعناية .

والاستفتاء الذى تجريه اليابان هدفه أن تعرف الحكومة والهيئات الشعبية والإدارية ماذا طرأ على (الشخصية القومية) اليابانية . . وعلى أساس نتائج هذا الاستفتاء تغير الدولة وضع وتخطيط سياستها فى الداخل والخارج .

أحدث النتائج : أن ٥٠٪ من الشعب اليابانى راض عموما عن حياته وأن ٤٨٪ غير راض . . وهؤلاء الراضون مستريحون إلى عملهم ومكانهم من العمل ومكانتهم أيضا . وراضون عن الأجازات وأين يقضونها وراضون عن صحتهم وعن أماكن العلاج . . و ٤٠٪ من الشعب اليابانى يرى أن أحسن أسلوب فى الحياة هو أن يسايروا الظروف وأن هذا هو الطريق المثالى للسعادة الشخصية والعائلية .

وأن ٢٦٪ من الشعب يرى أن أحسن طريقة هى أن يعيش يوما بيوم . والمهم ألا يكون قلقا . .

و١٧٪ من آماله أن يكون غنيا . وأن هذه الرغبة تسبب له شيئا من القلق وتفسد عليه المتع اليومية السهلة . .

ولما سئل اليابانيون : فى رأيك ماهو أهم مقومات الحياة؟

أجابوا : الأسرة والصحة والحب والأطفال . .

ودلت الأرقام على أن ٦٧٪ من الشعب اليابانى يعيش ليومه . . وأن ٢٩٪ يعيشون للغد وما بعد الغد .

ولما سئل اليابانيون عن رأيهم فى المبادئ الأخلاقية التى يجب أن يتمسك بها الإنسان . كان الجواب : أن يكون أبا وزوجا ومحبا لأطفاله . . وأن يكون عنده شعور بالامتنان لمن أحسن إليه . وأن يحرص على الحرية وأن يحترم حقوق الآخرين وما هو واجب عليه .

ولما سئل اليابانيون عن أحب الشركات إليهم . . كان الجواب : الشركة التى بها جو عائلى . . وأن يكون الرئيس فى العمل موهوبا متفوقا وعلى علاقة طيبة بمرءوسيه .

وأخيرا ما معنى السعادة عندهم؟ قالوا : إن تطور اليابان وتقدمه هو مصدر سعادة الجميع . . وأن سعادة الجميع سوف تدفع اليابان إلى أقصى درجات التطور والنجاح!

لماذا لانحاول من حين إلى حين أن نعرف أنفسنا بأنفسنا . لعل وعسى !

بدأ الضغط على روسيا . . فالغرب يمسك يده عن المساعدات المالية والفنية .

فالدولة فوضى . والحكومة عاجزة عن فعل شىء والرئيس يلتسين أكثر عجزا من الجميع . . وليس هو الفاعل وإنما هناك قوى أخرى وراءه هى التى تعمل . إنها المخابرات القومية . .

وفى لقاء للرئيس الروسى مع عدد من رجال الأعمال الألمان سألهم : لماذا ساعدتم جورباتشوف وترددون فى مساعدتى؟ وكان الرد : إننا لا نستطيع أن نساعد شعبا لا يعمل !

إنهم يساعدون فقط شعبا يعمل وينتج ويبيع ويكسب ويسدد ديونه والفوائد عليها!!

أى أنهم لا يساعدون إلا شعبا قادرا على سداد ديونه!!

ومن المؤكد أن روسيا دولة غنية بثرواتها وأراضيها الشاسعة ومواردها الطبيعة والبشرية . . وعلمائها . . ولابد أن تقف طويلة عملاقة فى وقت قصير . ولكن الغرب يخاف أن تعود روسيا إلى نظام عسكرى صارم ومعه الشيوعية بصورة أخرى بعد أن فشلت أو كادت أن تفشل محاولات التغريب والتطوير الأمريكى أو الأوروبى !

ولابد أن يكون مفهوم العمل عند الغرب شيئا مختلفا عن الذى يرونه فى روسيا وهى كبرى دول العالم الثالث بعد الصين .

والمستشار الألمانى كول قد خطب فى شعبه يعيب عليه أنه متخلف فى الإبداع عن سويسرا . . فكيف يرضى الألمان ذلك؟ أى أنه عار على الشعب الألمانى الذى اخترع واكتشف وأبدع وتفوق أن يرتضى هذه الهزيمة من جارة صغيرة على حدوده !

والرئيس الأمريكى كلينتون خطب فى عمال صناعة السيارات فقال لهم :

إن الشعب اليابانى أكثر تطورا . وإن نظام الأسرة التى تعمل ، هو أرفع نظام فالمواطن اليابانى يرى أن المؤسسة التى يعمل فيها هى أبوه وأمه وأولاده وأحفاده . . وأن حياته حياتها . وقوتها قوته . لذلك ملئوا الدنيا وهددوا أمريكا فى مصانعها ومؤسساتها وأسرارها العلمية !

يعنى : أيها الأمريكان أنتم كسالى لا تعملون ولا تتفوقون . وأن هذا عار قومى! ورئيس اليابان لم يطلب من الشعب أن يعمل وإنما طلب منه أن يأخذ نفسه . . يأخذ أجازة . فلابد من الراحة لاستئناف العمل أقوى . وإنه لابد من السياحة إلى أركان الأرض . وأن يدفعوا وأن يبقششوا على الشعوب التى تشترى مصنوعاتها !

وكل عام يجىء رمضان المبارك وتكون فرصتنا التى ننتظرها فنأكل أكثر وننام أطول ولنعمل أقل ـ مع إننا لا نعمل فى اليوم الواحد إلا ٢٦ دقيقة ـ وهى إحصائية رسمية !

وهى العبقرية!

نحن ـ النباتيين ـ ننظر بدهشة وخوف إلى الذين يربون الحيوانات ثم يذبحونها ويأكلونها مسلوقة ومشوية . . وهم فى لبنان وسوريا يأكلون اللحوم النيئة ويأكلونها بدمها . .

ولكنهم يرون أن الحياة تعيش على الحياة : فنحن نأكل الحيوان الذى يأكل النبات . وعندما نموت نضيف ترابا إلى التراب ومن التراب يظهر النبات الذى يأكله الحيوان الذى يأكله الإنسان الذى يصير ترابا !

وقد ظهرت نظرية جديدة تقول : إنه لولا أن الإنسان أكل اللحم ما تطور عقله . كيف؟

فعندما عاش الإنسان على النبات لم يكن فى حاجة إلى تشغيل عقله . . فالثمار على الأشجار ولا يبذل جهدا كبيرا فى قطفها وأكلها . . فهو يجلس فى ظل الأشجار ، ويأوى إلى الكهوف ويحتمى من الوحوش . .

ولكن لسبب لا نعرفه من مليون سنة ، اتجه الإنسان إلى صيد الحيوان . وقد دفعه الصيد إلى اختراع أدوات الصيد وتطويرها . . والصيد ـ كالحرب تماما ـ هو الذى يطور أدوات القنص والصيد والقتل . . وعندما كان الإنسان يعيش على النبات كانت معدته

كبيرة وأمعاؤه طويلة . لأن النباتات فى حاجة إلى وقت أطول لكى يتم هضمها وتمثيلها . . فلما اتجه إلى اللحوم صغرت معدته وقصرت أمعاؤه ونشط عقله وكبر حجم المخ . وأصبح من الصعب على الإنسان أن يوزع طاقته على الأمعاء والمخ . ولذلك تضاءل نشاط الأمعاء ، واتجهت كل الطاقة إلى المخ .

ونحن لا نعرف بالضبط متى اخترع الإنسان طهى الطعام . فالطهى معناه هضم الطعام خارج المعدة والأمعاء . وفى ذلك اختصار لطاقة الإنسان فى مضغ الطعام وهضمه داخل الأمعاء ثم تمثيله فى الدم . . لقد أدى طهى الطعام إلى مجهود أقل من الهضم ، وإلى أن يتجه فائض الطاقة إلى العقل ليفكر فى أن يجعل الحياة أسهل ، ويدفع الإنسان إلى التقدم وتطوير أدوات الحياة وأدوات الطعام والشراب والصيد والدفاع عن النفس وظهور الحدود والسدود بين الناس . . والأسوار للأرض والأبواب للبيوت . .

فأكل اللحم هو الذى جعل الإنسان من مليون ونصف مليون سنة يبدأ الخطوات الأولى للتطور .

وهذا التطور هو الذى وصفه الفيلسوف الإنجليزى برتراند رسل بأنه (وهج العبقرية) التى لا حدود لها . . وهذا التطور الذى بلغه الإنسان فى صناعة الدواء وكيمياء الطعام هو الذى جعل أمثالى لا يخافون من كراهية اللحوم بكل أنواعها ، فليس أسهل من تعويضها بالفول والبيض والعسل واللبن !

الله .. الله !

الله يا بلادنا الله ـ أقصد شرم الشيخ .

الله ياشبابنا الله ـ أقصد «النساجون الشرقيون»

فقد انتقلت فى يوم واحد من برلين وفرنكفورت . . ومن هانوفر حيث المعرض العالمى لما أبدعته صناعة السجاد والذى يصوره كل عام (النساجون الشرقيون) فيكون بذلك تتويجا للصناعة المصرية ، وحيث درجة الحرارة ١٤ تحت الصفر إلى شرم الشيخ وافتتاح محطة تنقية المياه لرى كل القرى السياحية وحيث درجة الحرارة ٢٢ فوق الصفر . .

ما هذا الجمال والنقاء والصفاء والرواء فى شرم الشيخ . لقد رأيت شرم الشيخ أيام الاحتلال الإسرائيلى ، ولم يكن في جنوب سيناء إلا فندق (أكوا مارينا) الذى يتولى محمد نسيم تطويره وتوسيعه وتجميله ، وكانت هناك مدرسة البيئة . . وهى غرف متواضعة جدا لعدد من الشبان يدرسون جيولوجيا ونبات وحيوانات وحشرات سيناء . وكانت فى الشمال قرية ياميت التى هدمها بيجين قبل الانسحاب وفندق طابا . إنها إسرائيل التى لفتت عيوننا وحركت سواعدنا وخيالنا لأن نجعل ما هو أروع وأعظم وأبقى . . فأقمنا القرى السياحية وهى أروع وأنفع ما صنع المهندس ورجل الأعمال والسائح فى بلادنا . . فكل شىء فى شرم الشيخ

مصنوع من الكريستال . . شديد الشفافية : الماء الأزرق والهواء والضوء . . وكل الذى نلمسه هو الصحة والذى نحسه هو العافية . .

وبسرعة اعتقلتنا التليفزيونية البارعة منيرة كفافى فربطت رموشنا بأشعة الشمس المحرقة ، وأدارت علينا الميكروفون فسألت : أليس من حق المواطن المصرى متوسط الدخل أن ينعم بهذا الجمال ؟ فأجاب اللواء مدحت الزهيرى محافظ جنوب سيناء ود . ممدوح البلتاجى وزير السياحة واللواء محمد نسيم رئيس المستثمرين وحسين سالم صاحب محطة المياه وقرية موفنبيك : نعم بل واجب علينا . وسوف نفعل ذلك .

وإذا نظرت إلى البحر وإلى نجوم السماء وإلى الجبل وإلى وادى الراحة ، والجبل الذى تجلى الله عليه لموسى ـ عليه السلام ـ ففى ذلك يلتقى جمال الطبيعة وجلال الكون .

فإذا تعبت من نفسك ومن أهلك فتعال إلى شرم الشيخ والغردقة يرتد إليك قلبك وعقلك وأملك ورغبتك فى أن تعيش ويعيش الناس !

منتجات مصر ..

د . ممدوح البلتاجى وزير السياحة يدعو إلى فكرة جديدة وهى أن السياحة ليست أن نبيع للأجانب الخدمات وحسن المعاملة وبراعة الاستقبال وطيب الإقامة فقط . وإنما نحن نبيع للسائح الأجنبى كل منتجات مصر . فالسياحة بهذا المعنى تؤدى إلى تصدير منتجات مصر . فبدلا من أن نبعث بالصادرات من كل نوع إلى كل بلد ، فإننا نأتى بالمستهلكين لهذه السلع . . فكل الذين يأكلونه ويشربونه ويشترونه هى سلع مصرية كان من الواجب تصديرها لهم . . ولكن السياحة وفرت علينا عبء التصدير وتكاليف الجمارك والتوزيع . . فالسائح ـ إذن ـ هو مستهلك لصادرات مصر . . فالسياحة هى استيراد السائح لاستهلاك صادراتنا فى بلادنا . .

والسياحة هى التى تملأ خزائن شركات الطيران وشركات الفنادق والمحلات التجارية والمواصلات . . كل ذلك بفضل السياحة ، فهذه الأموال التى تتدفق على كل الأماكن فى مصر ، لا تدخل فى حساب الموارد السياحية .

وفى اجتماع مجلس السياحة اقترحت على د . ممدوح البلتاجى وأعضاء مجس الإدارة أن نعمل بسرعة ومن هذا العام فنضع خطة لتشجيع السياحة الداخلية . . وتشجيع ملايين المصريين على السفر

صيفا إلى الشواطئ ، وشتاء إلى الجنوب . . وبذلك نملأ الفراغ الذى يتركه السائح الأجنبى . . بسبب الخوف أو أثر الدعاية المغرضة والمنافسة . . أو الدعاية النشيطة جدا حولنا . . دعاية الأردن وإسرائيل وقبرص وتركيا واليونان والمغرب العربى . .

ولكى نستوعب ملايين المصريين السياح يجب أن نقيم لهم فنادق متوسطة الأجر . . أو نقيم لهم قرى سياحية . . أو تقيم لهم الدولة ـ إذن ما ترددت الشركات الخاصة فى الإقبال على مثل هذه المشاريع قليلة الربح ، ولكن المهم أن نرسى قواعد السياحة الداخلية وأن نطورها عاما بعد عاما . .

وكما أقمنا القرى الصيفية على الشواطئ ليملكها الأفراد القادرون ففى وسعنا أن نقيم قرى ومعسكرات زهيدة الأسعار . . تماما كما تفعل النقابات والمؤسسات والشركات .

وبغير السياحة الداخلية على مدار السنة سوف نظل فى انتظار السائح الأجنبى . حتى هذا السائح الأجنبى يجب ألا تقف لوائح مصر الجامدة وقواعدها الشاذة لتطفيشه من مصر ـ فلا يزال عندنا وقت وأمل أيضا .

خانق أو مخيف!

قالوا لنا : إن توحيد ألمانيا هو الذى أدى إلى ظهور الكراهية لكل الأجانب . . فقد شعر الألمان الغربيون بأن الألمان الشرقيين متخلفون تماما . . ومن حقهم أن يعيشوا فهم ألمان . ولكن الحياة التى فرضتها الشيوعية عليهم جعلتهم آلات بشرية . . لا ذوق ولا مزاج ولا أمل فى الحياة . . وقد حاول الألمان الغربيون تنظيف الألمان الشرقيين . . ففرضوا عليهم ألا يلبسوا الجوارب البيضاء - رجالا ونساء . . وأن يستحموا مرة كل يوم ! !

وبقيت مصانع ألمانيا الشرقية قديمة مهدمة . ولابد من الإحلال والإبدال والتجديد والتحديث والتطوير . . وفى نفس الوقت لا بد من مواجهة البطالة . . فالعامل الألمانى الشرقى لا يستطيع أن يعمل فى المصانع الحديثة ، فكل تطوير فى الأجهزة لا تسبقه دراسة وتدريب .

فإنه يطرد العامل الجاهل المتخلف . . وأحس الألمان أن سبب البطالة هو : الأجانب الذين يجب طردهم . وبدأ الطرد . وبدأت الحكومة تعطى مكافآت لكل من يترك البلاد . . بل إن ألمانيا دفعت مئات الملايين لحكومة فيتنام لكى تسحب أربعين ألفا من أبنائها .

وتكونت عصابات من الألمان الشرقيين والروس من أصل ألمانى . يقتلون ويتاجرون فى الرقيق الأبيض والمسحوق الأبيض . والدولة حائرة .

وإليك الصورة الآتية التى اضطرنى الجليد لكى أتخذها لنفسى كل يوم ، فلا أنا أشقر الشعر ولا أزرق العينين . وإنما أبيض اللون . كأنى من تركيا أو من إيران . المهم أننى شرقى واضع فوق رأسى طرطورا أسود يغطى أذنى . ومنظارى أسود والبالطو أسود . ولغتى الألمانية ذات لهجة أجنبية . إننى أبدو فى الليل مخيفا . لا بأس . ولما اكتشفت هذه القوة بالغت فى إظهارها . فكنت أركب التاكسى . ويسألنى السائق أو السائقة فأنتظر لحظات وأفتش فى جيوبى ، كأننى أبحث عن مسدس وأرى الفزع على وجه السائق فى المرآة . . وأنا لا أزال أقلب فى جيوبى . . وتستقر يدى فى جيبى ولا أخرجها وأقول بصوت مرتفع لتبدو لهجتى الأجنبية . . فندق كذا . .

وفى إحدى المرات خرجت عن التاكسى لأفتش عن الفكة عندها هرب السائق !

وكان ذلك آخر عهدى بالتاكسيات . . فما أقسى السير فوق الجليد والخوف من السقوط .

وحكمتى هى : أن أكون خائفا ، أكثر ضررا من أن أكون مخيفا !

أعصاب باردة!

أرجو من السفارة البريطانية فى القاهرة ألا تترجم هذه السطور لصاحب السمو الملكى الأمير تشارلز ولى العهد وزوج الأميرة ديانا وليس كذلك غدا . .

لا أعرف إن كان الأمير تشارلز قد أسعده الطبل والزمر وتكرار اسمه على كل لسان :

الرجال والنساء والأطفال . فمن المعروف أن أعصابه باردة جدا ، أو ليست عنده أعصاب . . فعندما هاجمه الشاب الغاضب فى أستراليا لم يهتز الأمير . واندهش العالم لذلك .

كيف لا يفزع؟ وكيف لا يخاف؟

ولذلك قالوا : إن الأمير يعيش بأعصاب . . ميتة !

فلا أعرف إن كانت أعصابه قد دبت فيها الحياة فجأة ونقلت إليه أن حوله أناسا سعداء جدا لوجوده فى إمبابة .

ومن المؤكد أن هؤلاء الناس الطيبين لا يعرفون أى شىء عن الأمير . . وليس الطبل والزمر تأييدا لموقفه من الأميرة ديانا التى لعبت بذيلها وخانته وخانها . .

وهى مع عدد لا بأس به من الشبان فى التليفون وفى الحدائق والمصايف والقصور حتى الضابط الذى علمها ركوب الخيل . .

وهو أيضا قد خانها مع حبيبة العمر السيدة كاميلا التى انفصلت أخيرا عن زوجها . وكانت هذه السيدة هى بداية الخلاف بين الأمير وزوجته .

فالأمير قد تقدم للزواج من أخت ديانا ولكنها رفضته . . واقترحت عليه السيدة كاميلا أن يتزوج ديانا فهى أبسط وقد تدربت على تربية الأطفال وسوف تكون ست بيت ممتازة .

واعترف الأمير للأميرة بأن العشيقة هى التى اختارتها . . وكان ذلك سكينا فى قلب ديانا لا يزال ينزف دما فقررت أن تغمد السكين فى قلبه فى العرش البريطانى والأسرة المالكة .

وهذه الجماهير الساذجة لا هى مع ديانا ولا هى مع كاميلا . . ولا هى استمعت إلى رأى الأمير فى التسامح بين الأديان - وهى المحاضرة التى ألقاها فى جامعة كمبر يدج .

إن هذه الجماهير قد هتفت للرئيس الفرنسى جيسكار دستان : يحيا الرئيس ديكسان !

وديكسان هذا مادة مخصبة للتربة !

رجل واحد كانت الجماهير صادقة فى الهتاف له هو الرئيس نيكسون عندما جاء بعد حرب ٧٣ وفرحة الشعب بالنصر وبالسلام وكانت عبارته الشهيرة : أنت لا تستطيع أن تجعل الناس يبتسمون بالقوة !

وكانت ابتسامتهم من القلب . . ولا أظن أنهم فعلوا نفس الشىء لولى عهد بريطانيا !

ما رأيك ؟

قل لى يا دكتور : ما رأيك ؟

قال : أدى الله وأدى حكمته !

ـ وأنت يا دكتورة ما رأيك ؟

قالت الدكتورة : كما ترى . . إنها مصيبة !

أما الدكتور فهو جمال سلامة وأما الدكتورة فهى بلدياتى رتيبة الحفنى وأما المصيبة فهى الغناء فى مصر وهذه الأصوات الهزيلة المريضة المخنوقة المحدودة وأكثرها بلا علم وبلا موهبة .

ولكن الناس قد اعتادوا على أن يسمعوها . . كما اعتادوا على أن يروا كل ما يلوث جمال النيل والشوارع والجدران والماء والهواء . اعتادوا وسكتوا . وإذا تكلموا لعنوا كل شىء وكل واحد . . والنتيجة : ولاحاجة! من ضمن الآراء أن عندنا أصوات جميلة . ولكنها غير قادرة على أن تدفع (أتعاب) الملحنين التى تبلغ الآلاف ، ولا ألوم الملحنين ولكن عجز المغنين هو الذى جعلهم يتحولون إلى أى شىء آخر . سألت د . جمال سلامة عن مطربة استمعت إليها فى بيت المرحوم مدحت عاصم أعجبتنا وبهرتنا وأسعدتنا فقال : إنها تغنى فى الأوبرا . لأنها غير قادرة على تكاليف التلحين الذى تقدر عليه وبسهولة مطربات المغرب العربى ، لاعتماد المطربة المغربية على الذى أو التى تنفق عليها ؟ !

سألت د . رتيبة الحفنى عن مطرب شاب أعجبنى يوما ما ، اسمه أحمد إبراهيم ، وقد غنى فى بيتنا وتابعته ، ولم أعد أرى له أثرا الآن . . فقالت : إنه يغنى مش عارف فين وفين .

يعنى ذهب مع الريح الأسود والأزرق ولن نجد له أثرا ، وكان أملى فيه عظيما! وسألتها عن فلان وعن فلانة وكان مط شفتيها فى أسى ، إجابة عن السؤال وإشارة إلى أنه لا داعى للأسئلة! وسوف تبقى هذه الأصوات (الخنفاء) . . والتى تقطعها (الزغطة) . . والتى تلهث تريد أن تصل إلى نهاية البيت الشعرى ، مع أنه من كلمتين . أما الذى جعل الصوت ممزقا مهلهلا ، فهو أن المطرب بسلامته اعتقد أنه أصبح محمد عبد الوهاب وعبد الحليم بعد أغنية واحدة . وعلى ذلك فمن حقه على الناس والملايين أن يشرب ويحشش ويهلس . فقد بلغ القمة ومادام فوق فوق فالناس الذين تحت تحت يجب أن يقبلوه بعيوبه . فعيوب الكبار صغيرة ، وعيوب الصغار كبيرة ولم يعد صغيرا . وإنما نحن الصغار!

حتى الذين كان فيهم أمل ، فقد ضعفت أصواتهم . أو ضعفوا . وبعدين ؟

نحن فى (البعدين) فالذى نراه هو نتيجة الضعف والجهل - وليس الغناء وحده وإنما فنون أخرى كثيرة على نفس المستوى الهابط التافه !

أين يصلى ؟

قنصلنا العام فى جدة السفير محمد عباس رجل لطيف خدوم محبوب وكذلك السيدة الفاضلة زوجته . طبعا عندما جلست إليه كان الكلام عن الجالية المصرية فى السعودية . وماذا يريد الناس ثم ماذا يستطيع هو أمام مطالب لا تنتهى! رأيت مناقشة بين القنصل العام وأحد المواطنين . ووجدتنى ـ من شدة الغيظ ـ أجيب نيابة عنه . فإن أحد المواطنين يقول : إن الموظف المختص ليس فى مكتبه لقد ذهب إلى الصلاة . وهو ملطوع فى انتظاره ؟

السؤال : هل لا يصح أن يصلى الموظف المصرى . . وإذا صلى كيف يكون جالسا فى مكتبه فى نفس الوقت . . وإذا كان الموظف واحدا والواقفون أمامه عشرات فما الذى يمكنه أن يفعله غير أن يطلب منهم أن يقفوا طابورا . . واحدا بعد واحد . . هذا هو النظام البسيط المتبع فى الدكاكين والجمعيات والمستشفيات فى كل الدنيا . إذن ما الذى أغضب المواطن المصرى؟ أخذت المواطن على جنب وقلت له : أنا سوف أرد عليك بدلا من السفير . . لا تنس أن هذه أرض مصرية . . وليست سفارة أمريكية أو ألمانية . . والذى يحدث هنا أفضل عشرات المرات مما يحدث فى القاهرة . . أنت هنا تستطيع أن تقابل السفير وأن يسمعك وفى مصر لا تستطيع أن تقابل الوزير أو رئيس الوزراء . فقليلا من الفهم والرحمة !

وانتحيت بمواطن آخر وقلت له : اسمع أنت جئت إلى السعودية بشروطها . . فهى دولة مستقلة ذات سيادة وليست إحدى مستعمرات مصر . وهم أحرار فى بلادهم . وأنت حر فى قبول شروطهم أو عدم قبولها . ووجودك هناك معناه أنك قد ارتضيت كل شىء . . فلا شكوى ولا دخل لمصر أو أى أحد بينك وبين الكفيل السعودى أو الحكومة السعودية . . فإذا لم تعجبك الحياة هنا ، فالباب يتسع لألف جمل وإذا كنت أنت لا تستطيع أن تفعل شيئا فالسفير أيضا ! وواحدة قلت لها : ألم يحدث لك شىء من ذلك فى شوارع مصر ، طبعا حدث . ولكنك قادرة هنا وهناك على حماية نفسك ! يعنى إيه؟ يعنى أننا نحن المصريين شكاءون بكاءون ولا يعجبنا العجب . . مع أن أحوالنا هى التى لا تعجب عدوا ولا حبيبا . ولكننا ننسى . . فننظر إلى ما فى أيدى الناس ولا نشعر بما فى أيدينا . . ولذلك نطلب المستحيل من السفير ومن غيره مع أننا جميعا لا نبذل أى مجهود لكى نحقق الممكن ـ إنها عيوب مخجلة !

فاروق شحاتة ..

ما هو الفن ؟ الفن تعبير جميل . . أو هو تعبير مريح . . أو هو الوسيلة التى يتخفف بها الفنان من هموم الواقع والخيال .

كل ذلك سوف تحسه وأنت تتفرج على طموحات الفنان الكبير د . فاروق شحاتة هنا فى القاهرة ـ قاعة إكسترا ٣ شارع النسيم المتفرع من شارع المنتزة ـ الزمالك . فهو أحد أساتذة فن الجرافيك . . وفى هذا الفن استطاع فاروق شحاتة أن يؤكد أنه هو أيضا قادر على أن يقول وأن يجىء قوله مزيجا من الرمزية والواقع . وحياتنا رموز وآمالنا أن يكون لها واقع . . وقد استراح فاروق شحاتة إلى ما تحت الميكروسكوب هذه الأشياء الصغيرة جدا ، البليغة جدا . فهى مكثفة البلاغة والعمق . .

وانتقل فاروق شحاتة من رسم ما هو تحت الميكروسكوب إلى ما هو وراء التلسكوب . . فانتقل من الذرات إلى المجرات . . انتقل من الصمت المهيب إلى الصمت الرهيب . . فاستعار ألوان النجوم والشموس وضباب الغاز والتراب والسحب الكونية وحيرة الإنسان وعظمة الله وقدرته التى لا نهاية لها . . أما هذا الشعور باللانهائية فواضح فى لوحات فاروق شحاتة . . إن لوحاته لا تنتهى رغم أن هناك بروازا خشبيا يحدها . . ولكن البرواز قد ألقى فوقها . . قد سقط عليها . . فهو المحدود . . أما الأضواء والظلال . . أما الوضوح

والغموض . . والمساحات الشاسعة والأعماق اللانهائية فهى اللوحات نفسها .

هل قال شيئا؟ إن أحدا لا يقول ولكنه يحاول . وهى فى محاولته كان بليغا . ولأنه كان بليغا فقد كان مريحا سارا . وهذا هو الفن . .

لقد قفز فاروق شحاتة بفنه وأسلوبه إلى أبعد ما يدرك التلسكوب . فالخيال أبعد وأعمق وأقدر . . إنه صور لنا الطريق إلينا طريق كائنات أخرى جاءت وعادت أو سوف تجىء ويتمنى علماء الفلك ذلك . . وقد بعث الأمريكان بسفن فيها تسجيلات للغات أهل الأرض . . لعل هذه السفن أن تقع فى أيديهم فيعرفوننا أو نعرفهم . . وحتى ذلك اليوم فلا نملك إلا أن نحلم ونتخيل ونتمنى ثم نعبر عن ذلك باللون السحرى والظل الرومانسى . . فإذا كان لنا ذلك ، وهو أقصى ما نستطيع ، فهو الفن الذى فى متناول كل يد وعين ـ وكذلك فعل د . فاروق شحاتة الذى كان مستشارا ثقافيا لمصر فى دولة صغيرة ، جعلها أهم دول أوروبا وجعل مقعده كأنه ألف مقعد نشاطا وتدعيما للصداقة بين مصر والنمسا التى عشقت مصر وقدمتها فى أروع وأجمل المعارض عظيمة الاحترام .

إن فاروق شحاتة لايزال قادرا على أن يرفع قدرنا الرفيع فى العالمين فى أية عاصمة أوروبية أو فى كل العواصم . أما أسلوبه فهو حسن الفهم والقبول ومثل هذا الفن له ولغيره من الفنانين !

٥٠ عاما ..

وفى كل الثورات : الغضب وطنى والنظرية عالمية . .

فى كل الثورات يحاول الذين صنعوها أن يجعلوها بيضاء . وأكثرهم لم يفلح . ولذلك ادعوا أنها بيضاء . وأول ضحايا الثورة هم رجالها وفلاسفتها . . ثم ملايين الأبرياء . . ولكن الثورة الوحيدة فى التاريخ التى يمكن أن توصف بأنها ثورة وأنها بيضاء مائة فى المائة هى الثورة اليابانية . ثورة بكل المعانى ، وناصعة البياض .

وقد أضاءت هذه الثورة البيضاء من ١٤٠ عاما . فقد أحس اليابانيون بعد اقتحام الأسطول الأمريكى لمياه اليابان المقدسة ، بأنهم متخلفون . فلا عندهم أسلحة ولا أساطيل . ولذلك وافقوا بسرعة على دخول الأسطول الأمريكى وتزويده بالماء ومساعدة الجرحى من الجنود ، على أن تقوم أمريكا بنفس الشىء للأسطول اليابانى ـ الذى لا وجود له ـ بمزايا مماثلة . أما الذى أحيا الثورة فى عقول اليابانيين فهو الهوان الذى لحقهم عندما دخل الأسطول دون إذن ووجدوا أنفسهم عاجزين عن فعل شىء . فهذا الهوان والعجز هو الذى جعلهم يتساءلون ويفكرون فى الدفاع عن النفس . . وأوفدت اليابان رجلين ليريا ما الذى حققه العالم وعجزت عنه اليابان . ذهب الرجلان وعادا ومعهما برنامج للعمل . . برنامج الثورة . وقد نفذه اليابانيون بالحرف وبمنتهى الجدية والقسوة على

النفس . وفى خمسين عاما أصبحت اليابان دولة متحضرة وعندها إصرار على أن تكون دولة أوروبية أمريكية فماذا فعل الرجلان؟

لقد اتفقا مع عدد من الإنجليز لبناء السكة الحديدية والتليفونات . .

ومع عدد من الفرنسيين لوضع دستور للبلاد وتدريب القوات المسلحة . ومع عدد من الألمان لإقامة المستشفيات وتطوير صناعة الأدوية ومع عدد من الأمريكان لبناء المدارس ووضع برامج التعليم . .

ومع عدد من الإيطاليين للرسم والنحت والموسيقى .

ولقد أذهلت اليابان العالم كله بذكاء المواطن اليابانى الذى تعلم بسرعة وأتقن الذى تعلمه . . وضربت القوات اليابانية المدربة الصين العظمى واستولت على أراض شاسعة منها . . ثم ضربت الأسطول الروسى الذى جاء إلى مياهها فى سنة ١٩٠٥ مستخدمة اللاسلكى لأول مرة فى الحروب !

خمسون عاما من العرق والدموع والصمت والإصرار . . وفى النهاية تحقق لليابان غرور الفرنسيين وشجاعة الإنجليز ، وحيوية الأمريكان ودهاء اليهود . . ثم قدرة اليابانى العامل والمهندس على التغيير والتطوير . . إلى ما لا نهاية !

حمام قاتل !

العلماء مصرون على تجريد عالمنا الجميل من كل ما فيه من جمال وأوهام . . فالقمر الذى عاش عليه العشاق والمحبون ونصف الشعر الرومانسى فى كل الدنيا . جعله العلماء حجرا مستديرا يدور حول الأرض التى تدور حول الشمس . . وعندما هبط عليه الرواد وجدوه بالضبط يشبه صحراء نيفادا التى دربهم على السير فيها د . فاروق الباز . فلم يجدوا فرقا بينها وبين صحارى الأرض . . جفاف وبرودة وحرارة ووحشة!

ولا يمكن أن تجد مقالا واحدا أو كتابا أو أغنية عن السلام ليس فيها الكلام عن حمام السلام . ذلك الطائر الوديع الجميل فى كل ميادين أوروبا وكنائسها يوجد هذا الطائر النبيل الذى يحط على رءوس وأكتاف الناس الذين أتوا له بالطعام . ويقال : إن نوحا ـ عليه السلام ـ أطلق الحمام من سفينته ليعرف إن كانت الأرض قريبة . . فعاد الحمام بأغصان الزيتون فى قدميه . . بما يدل على أنه قد وجد أرضا ووجد على الأرض أشجارا . فالحمام هو رمز السلام الذى هو حلم أحلام البشرية . .

وبسرعة وجد العالم الأمريكى ستانلى تمبل أن فى جزر موريشيوس حماما ورديا . هذا الحمام الوردى سيئ السمعة . . إنه

سام . . فلم يذق لحمه أحد إلا كان ذلك آخر طعام له . ولذلك تواصى أهل الجزيرة ألا يقتربوا منه . .

فهذا الحمام قد استخدم السموم وسيلة للدفاع عن النفس فقد أعد هذه السموم لكل من يريد أن يعيش عليه فأماته . . وحاول العالم الأمريكى أن يعرف من أين تجىء هذه السموم ، فلاحظ أن هذا الحمام يعيش على نباتات سامة . . فكأن هذا الحمام ، توفيرا لطاقته فى صناعة السموم ، راح يحصل عليها من الخارج . .

ثم إن بعض الطيور والحيوانات والزواحف تضع لونا أحمر فى جلدها وفى ريشها إنذارا للحيوانات الأخرى ألا تقترب منها لأنها مسمومة . .

وذهب العالم الأمريكى إلى أن يجرب على نفسه . فأكل لحم هذا الحمام فظهرت عليه كل أعراض التسمم كارتفاع درجة الحرارة والعرق والغثيان والدوخة . وكتب اعترافاته ووصيته : إن مت ، فقد مات قبلى علماء كثيرون فداء للبشرية !

أما الذى لم يجد له حلا فهو : كيف توجد كل هذه السموم فى دماء الحمام ثم لا يموت ؟ !

نحن نتعذب!

ونحن أيضا نتعذب بالصحافة . فالناس تعذبهم الصحافة وتنشف ريقهم . ونحن أيضا ، مثلا : يجىء صحفى شاب . أهلا وسهلا . يريد حديثا فورا! فورا لا . . لا لأننى مشغول أو لأن صحيفته صغيرة لا تساوى هذا العناء . ولكن لأنه شاب فالأمر يختلف . وكان رؤساؤنا يقولون لنا : حديث مع فلان يعنى حديث . . تضرب دماغك فى الحائط . . وتأتى بالحديث . . وعليك أن تطارده من الباب والشباك! إنها تعليمات الأساتذة وهى نفس تعليماتنا للشبان الصغار . وتعليماتنا لهم أيضا إذا ذهبت إلى بيت القتيل فانزع صورته من الحائط . . يسرقها ؟ نعم يسرقها . كل ذلك ننساه إلى أن يجىء صحفى مجهول ويطبق كل تعليماتنا علينا نحن . جاءنى شبان كثيرون مصريون وأجانب . وينشرون الأحاديث فيها معلومات غير دقيقة . وهذه المعلومات تغضب الكبار من المسئولين . ولا يصدقوننا عندما نعتذر لهم بأنهم صحفيون صغار وأشقياء أيضا! ولا نهاية لهذه الأحاديث كل سنة ولهذه الأخطاء أيضا . آخرها دردشة فى مكتب الزميل محمد شاكر مدير مكتب أخبار اليوم بالإسكندرية . وكان من رأيى أننى ألمس الإسكندرية لمسا ولا أمكث فيها إلا دقائق . وهذا الزمان القصير والمكان الضيق لا يعطينى الحق فى أن أحكم على

الإسكندرية كلها . وإن كنت أتمنى لها أن تكون نظيفة كما كانت . انتهى كلامى . أو هكذا تصورت أنه انتهى .

أما الذى جاء فى الصحيفة فحكايات وروايات لها مذاق المقالب والتجريح فى محافظ الإسكندرية الصديق . إسماعيل الجوسقى . أما أنا فقد اعتدت على ذلك . أما المحافظ فيحاول أن يعتاد فإذا كان المتحدث مثلى عن صديق فكيف يواجه القراء وكيف يقنع الإقليم بكذا وكذا ـ إنها الصحافة الملعونة من القراء ومن الصحفيين أيضا . . فهى إن كانت مهنة البحث عن المتاعب ، فهى أيضا مهنة خلق المتاعب لمن هم فى غنى عنها . . والمثل الذى يقول : اللهم احمنى من أصدقائى ، أما أعدائى فأنا كفيل بهم ـ فالمقصود بالأصدقاء هم أبناء المهنة . . وبعض الناس يندهشون أن الثعبان يحمل السم فى رأسه ولا يموت!! وكذلك مهنة الصحافة! فنحن نضايق بعضنا البعض إنها عادة سيئة ـ أن نسىء إلى الآخرين هذه عادة . وأسوأ منها أن نسكت عليها . ومع أنها فى دمنا ولكننا نتضايق من عيوبها التى هى عيوبنا . . شارلى شابلن قال قديما : إننا نفزع من منظر الدم مع أنه يجرى فى عروقنا !

العناية المركزة !

هناك نوعان من العناية المركزة : الموجودة فى المستشفيات ويدفعون بالمريض إليها لكى يكون تحت الرقابة ليلا ونهارا لأن هناك خطورة على حياته إن لم يسعفه أحد بسرعة . . ويبقى بعض الوقت ويستأنف بعدها حالته المرضية العادية أويسترد جانبا من صحته . .

والعناية المركزية الأخرى هى الهرب إلى الشواطئ . فأنت بعيد عن مدينتك وعن مكتبك وعن كثير من الناس . هارب إلى الهدوء وإلى التراخى وإلى الهواء النقى والماء تراه أو تسبح فيه . . ثم إنك بذلك تكون قد كسرت الدائرة المفرغة والساقية التى تدور فيها على الفاضى والمليان أكثر أيام السنة واللى تقوم فيه تنام فيه . . سواء كنت تقوم لتقرأ الصحف أو تنام أمام التليفزيون .

ولكن على الشاطئ أنت لست فى حاجة إلى نوم كثير لأن الأوكسجين يتولى راحتك وتجديد خلاياك . . والسماء كالبحر عميقة بعيدة . . وفيها تتوه وتسبح أو تغرق ولكن بلا خوف . . وإن كنا لا نرى السماء لاعلى البحر ولا فى المدن . ولذلك نكتفى بالنظر إلى الماء الذى هو ملىء بالحياة والغموض . . وقطرة واحدة

فيها كل أسرار الكون . . تماما مثل ذرة فى الفضاء . . ومثل النظر إلى نقطة بيضاء فى السماء تبعد عنا ألوف ملايين ملايين الكيلو مترات . .

إنهم أبناء الصحارى هم الذين يرون جمال السماء التى تبعث على الرهبة . . فهى رائعة ومروعة . . أى جليلة . . أقصد منظر النجوم فى السماء . ولذلك عندما تحدث القرآن الكريم إلى العرب حدثهم عن عظمة النجوم . . لأنهم يرونها واضحة وقريبة جدا مع أنها لامتناهية البعد عن الأرض .

وإذا كانت العناية المركزة فى المستشفيات من أجل إنعاش وانتعاش المريض . . والعناية المركزة على الشواطئ هى من أجل إنعاش الأصحاء قبل أن يمرضوا . . أو حتى لا يمرضوا ، وإذا كانت الحياة مهمة عندك ، وإذا كنت حريصا على أن تمضى فيها وفى أداء واجبك نحو نفسك والآخرين وأن تؤجل كل المعوقات النفسية والجسمية ، فلا تتردد لحظة واحدة فى أن ترمى نفسك عند أقرب شاطئ . . ولا تشغل بالك بعد ذلك ، فسوف تدب فيك الصحة والعافية .

الشرق الجديد!

ما هى ردود الفعل فى العالم العربى لما حدث وسوف يحدث فى العراق؟ الأردن كان أسرع وأوقع . واستطاع الملك حسين بسرعة أن يبيع ويشترى ويكسب أمريكا وكل الدول التى كان معاديا لها من أجل صدام حسين . . ولم يصدق الملك حسين أن صدام حسين سوف يعطيه الحجاز ، ولن يصدق أن أمريكا سوف تعطيه العراق!

ولكن الملك يعرف وزنه وحجمه وهو قد نجح فى كل العصور على أن يبيع ويكسب ويواجه كل أنواع العواصف الوطنية والقومية والدولية ـ تصفيق حاد للملك حسين!

أما سوريا فشامتة فى البعث العراقى وتتمنى نهاية صدام وليس البعث . وهى تعلم أن أمريكا حريصة على صدام تعجيلا للسلام مع حافظ الأسد ـ وهو ثعلب القومية العربية!

أما إسرائيل فكأنها لاسمعت ولا رأت . والحقيقة أنها رأت من أقمارها الصناعية وسمعت . . ثم إن تطبيع علاقتها مع الأردن ـ الذى على علاقات طبيعية مع العراق ـ هو فتح لأبواب جديدة مع العراق لا تقل خطورة عن أبوابها المفتوحة أبدا مع إيران!

أما السعودية والكويت وبقية دول الخليج فهى سعيدة جميعا بما يلقاه صدام فى الداخل والخارج . وسعيدة بتأكيدات كلينتون أنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

أما القذافى فهو ضد أى إنسان ينطق كلمة أمريكا ـ ولذلك فهو ضد العالم كله . وهو يقف مع صدام حسين ضد الملك حسين وكل العرب ـ ولا أعرف إن كان رفض الدنيا يعتبر موقفا سياسيا؟!

أما مصر فهى ترقب وتترقب . وموقفها من صدام حسين معروف سياسيا وعسكريا . وهى لا تتدخل وتترك للشعب العراقى أن يختار من يحكمه ومن يدخله إلى الجنة أو إلى النار ـ والعالم يحسد العراق على النعمة العظيمة التى لا يدرى بها : بترول وخصوبة وماء وشعب وكل ذلك جعله صدام أسلحة لدمار الشرق الأوسط . فارتد الخراب إلى العراق ـ والسبب صدام وولده!

وياما قال لنا الأمريكان أن منجستو الماركسى اللنينى عميل أمريكى ولم نصدقهم . فكان أهم رجالاتهم . . وذلك أخرجوه معززا مكرما تسبقه الملايين وعشرون فتاة جميلة إلى قصور فى كينيا ثمنا لخروج اليهود الفلاشا آمنين سالمين .

وسوف نرى استعراضات غنائية فكاهية راقصة بين فصول مسرحية (الشرق الأوسط الجديد) !

حسب الله الكفراوى

سوف نذكر المهندس الكبير حسب الله الكفراوى زمنا طويلا ، ونلعنه زمنا أطول ـ ككل الذين أصلحوا أو قدموا خدمات جليلة لهذا البلد ابتداء من أنور السادات وانتهاء بمحمد على الكبير . فالكفراوى هو الذى جعل الرمال والصخور تتكلم لغة سهلة من الحديد والخراسانة والشوارع والحدائق واستثمار مليارات الجنيهات فى بناء أماكن للراحة للقادرين من المصريين والعرب . أما أن المصريين استطاعوا أن يستريحوا للمظهرية أو التحدث بنعمة الله فليس من شأن حسب الله الكفراوى!

لقد رأيت قرية مارينا أخيرا : جميلة ضخمة فخمة . ولأنها ضخمة ففيها أناس كثيرون من كل لون وحجم ـ تماما كالفلوس ورق ونحاس وفضة وذهب ومن كل لون أيضا . وتكون الفلوس مع الذى يساوى وزنه ترابا ، ويكون التراب مع الذى يساوى وزنه ذهبا!

رأيت وتوقفت وتأملت ومشيت وتنسمت الهواء والصحة والعافية . . وأعجبنى جدا شيئا يراه الناس قبيحا . إنها تلك الفيلات الخاوية على عروشها بحكم القضاء . فقد أراد وزير التعمير شيئا لرئيس الوزراء أو وزير البيئة أو ابنه ولكن أحد

المواطنين أراد القانون . فكان له ما أراد . وبقيت الفيلا دليلا على أن فى مصر قضاة !

وفى كتب القانون حكاية الإمبراطور فريدريش الأكبر الذى أراد توسيع قصر (سان سوسى) بضاحية بوتسدام سنة ١٧٤٧ . فاعترض القصر كوخ صغير . فقرر إزالته . فذهب صاحب الكوخ إلى المحكمة . فوقفت كل مواد القانون درعا منيعا ضد الإمبراطور . فدار سور القصر حول الكوخ . . وبقى الكوخ دليلا عظيما على أن فى ألمانيا قضاة !

ومن المنتظر أن يتأكد العدل مرة أخرى فى قرية ماربيلا . فقد فوجئ الملاك (الدكاترة صوفى أبو طالب وعثمان بدران وحمدى السيد وحسين عبد الفتاح وألف من المستشارين والمهندسين والأطباء ورجال الأعمال) بأن قرارا صدر بهدم كافتيريات وبناء عمارات على ملاعب الأطفال من أجل شخص واحد وبالأمر المباشر - إشمعنى ؟! والصفقة ثمنها مليونان يدفع ربعها والباقى على سنة ونصف - إشمعنى ؟!

ومن المؤكد أن القانون سيحكم لملاك القرية وتبقى الكافتيريات مهجورة دليلا على أن فى مصر قضاة وفى نفس الوقت على أن وزيرا يتحدى القانون والرأى العام - ولو كنت من الصديق د . محمد إبراهيم سليمان ما اخترت أن أكون عدوا للشعب وأميرا لجماعة التخريب بوزارة التعمير ! !

قال الثلاثة!

حكاية سمعتها أعجبتني . . فكرت فيها . . وأنت فكر فيها أيضا . إنه أب مصرى عاش فى ألمانيا عشرين عاما . وعنده ثلاثة أولاد . انتهز مناسبة عائلية وسأل كلا منهم : ماذا يريد أن يكون عندما يكبر؟

قال الابن الأصغر بوضوح : أريد أن أكون باحثا . أبحث وحدى فى بيت صغير . لا زوجة ولا أولاد وأنا أعلم مقدما أننى سوف أكون فقيرا وسوف تكون لى لحية . وشعر طويل وعندما أتقدم فى السن يقف لى الناس تحية واحتراما . .

وقال الابن الأوسط : سوف أتخصص فى الكمبيوتر وأعمل فى شركة كبرى وأتركها إلى شركة أكبر لأتقاضى مرتبا أعلى وإذا لم أسترح فى ألمانيا سوف أهاجر إلى أمريكا ويكون عندى أولاد فإذا تعلموا وعملوا بعد ذلك سوف أستقيل من عملى وأتفرغ لزراعة الحديقة وتربية الكلاب والسفر مع زوجتى إلى القارات الخمس .

وقال الابن الأكبر : إنه سوف يتخصص فى الكيمياء مثل والديه وخاله وابن خالته على أن يعمل فى إحدى شركات الأدوية وسوف يتزوج واحدة كيميائية أيضا ليعملا على اختراع تركيبة دوائية جديدة ويقترضا من البنك مبلغا من المال ويؤسسا شركة تكبر يوما بعد يوم ويكون لهما أولاد يديرون هذه الشركة . وسأل

الأب زوجته إن كانت قد سمعت ذلك من الأولاد فقالت : إن هذه هى المرة الأولى التى تستمع فيها إلى أحلام أولادها ، وتساءل الأبوان ما الذى يمكن أن يعملاه ؟ . هل يناقشان هذه الأحلام؟ هل يسكتان ؟ هل يباركان هذه الأفكار الواضحة السليمة؟ وحاول الأبوان أن يعرفا من أين جاءت لأولادهما هذه الأفكار وعرفا أن هذا كلام يدور ليلا ونهارا بين الطلبة وأنهم تناقشوا فيها كثيرا . وفى ألمانيا ألوف النماذج الناجحة لكل نشاط علمى ، شىء واحد أزعج الأبوين هو أن ابنهما الأصغر قرر أن يكون فقيرا وألا يتزوج . فهل رأى هذا الطفل أن حياة والديه كانت تعيسة إلى هذه الدرجة ، فعادا يسألان الابن الأصغر (١٥ سنة) فكان رده أنه من الصعب أن يكون باحثا يعيش وحده ، وزوجا وأبا فإما البحث والرهبانية العلمية ، وإما الزواج . ولو اختار البحث وقرر أن يتزوج فهى تضحية من الزوجة لا مبرر لها . وتضحية بالأولاد فادحة الثمن . ثم ذكر لأبويه أمثلة كثيرة عن الحياة الزوجية الفاشلة لعدد من العلماء والمفكرين فى التاريخ .

وهو يرى أن والديه قد ضحيا بالمال والراحة من أجل أولادهما ، وفى ذلك ظلم عظيم لهما حتى لو وجد الأبوان فى ذلك منتهى السعادة ـ فما رأيك ؟

الله أعلم !

كل يوم تكشف لنا الأحجار أن إنسانا مشى فوقها وترك ضغط أصابعه الحافية من مليون أو مليونى سنة . . أى أن أجدادنا مروا من هنا وعاشوا . ومن هنا كانت البداية .

وكلما ظهر إنسان قديم فى أوروبا ، ظهر واحد أقدم منه فى الحبشة . واختلف العلماء هل كان الإنسان الأول فى تنزانيا أو هو فى الحبشة أو فى جنوب أفريقيا أو فى كينيا ؟ . . أو أنه كان فى أحد الكواكب ثم هبط علينا فى عصور تبعد عنا بالمليونين والعشرين من السنين . . هل كان الإنسان فوق . . ثم أتوا به إلى الأرض كما نأتى نحن بالفئران والأرانب إلى المعامل لكى نجرى عليها تجارب ونضحى بها من أجل أن يعيش الإنسان . . فهل نحن أيضا حيوانات المعامل نعيش ونموت فداء لكائنات أسمى وأرفع تعيش فى كواكب أخرى ؟!

ومن أغرب ما عثر عليه العلماء أخيرا فى كينيا وفى أثيوبيا أن الإنسان عاش على هذه الأرض من خمسة ملايين سنة . . وعاش أشكالا وألوانا من القرود . وعادت النظرية القديمة إلى أن الإنسان والقرد من أصل واحد . . هذا الأصل لايزال مجهولا حتى الآن . .

شيء عجيب سجله العلماء وهو أنه فى إحدى المناطق فى كينيا وجدوا حفريات لعدد كبير من الرجال . الرجال فقط لا نساء فكيف كانت الحياة فى وقت من الأوقات من الرجال فقط وهل كانوا سعداء؟ أين ذهبت النساء؟ ما الذى أطاح بهن ومسحهن من الأرض ومن الحياة الاجتماعية؟ لغز جديد ! . .

ومن تحليل بعض العظام القديمة ، اهتدى أحد العلماء إلى انتشار مرض قريب من (الإيدز) أو هو الإيدز . فما المعنى ؟ لم يكشف أحد أسباب ذلك . . فهل كان أجداد أجدادنا (هلاسين) أيضا؟ أو كانوا عاديين فلا يمكن اتهامهم بالانحطاط الخلقى لأننا لا نعرف لهم دينا أو مذهبا أخلاقيا وكل ذلك كان هنا فى القارة الأفريقية .

من يدرى ربما ظهر إنسان أقدم فى القطب الشمالى أو الجنوبى . . أو فى أحد الكواكب الأخرى ـ فالله أعلم . .

ما النتيجة!

الناس معهم حق إذا تساءلوا : وما فائدة الكلام والنقد فى الصحف إذا كان بلا نتيجة . . أى إذا كان الرجل المسئول لا يقرأ وإذا قرأ فكأنه لم يقرأ . . وودن من طين والثانية من طين أيضا . ولله يا زمرى . . يعنى لا فائدة!

فمنذ سبع سنوات وأنا أكتب وأعيد وأزيد وأقول لوزراء الصحة والصناعة والتموين : إن عروس المولد هى العذراء التى تلد السرطان فى دم الأطفال . وإن الذين يصنعونها ينتهزون فرصة الموالد ويحررون شهادة بموت ألوف الأطفال .

السبب هو أن (اللون) الصناعى الذى يلعلع فى عروس المولد ليس إلا الموت نفسه . . سرطان الدم . . أو أى أنواع أخرى من السرطان . فالذين يصنعون العروس يستخدمون درجة مركزة من (اللعلع) - أى اللون الأحمر الفاقع . ما ضرره ؟ ضرره أنه أعلى من المعدل العالمى الصحى المعمول به فى كل الدنيا إلا مصر . . وليس لون عروس المولد وإنما ألوان كثير من الحلوى والشيكولاتة .

وفى المعهد القومى للبحوث دراسات تؤكد هذا المعنى ولكن لأن هناك (روتينا) فى هذه المعاهد العلمية فهم غير قادرين على نشر أبحاثهم على الرأى العام دون إذن من الرئيس المباشر ،

والرئيس يستأذن الرئيس حتى يصل إلى الوزير الذى يشير بيده بما معناه : اتلهى على عينك واسكت!

ويسكت الباحث أو الباحثة . قديما تحمس د . راغب دويدار وذهب ليرى بنفسه هذه السموم . ورأى وتأكد . وبس . . وقبل ذلك فعل أستاذنا توفيق الحكيم شيئا من مثل ذلك . فهو أيضا يشكو من القذارة المصرية التقليدية . فخطر له أن يمسك مقشة وأن يكنس شبرا أو شبرين من أحد الشوارع . . والناس واقفون يتفرجون . ويندهشون كيف يستطيع الحكيم أن يكنس الشارع كله أو الحى كله . ولم يكن هذا هو الهدف . وإنما هى إشارة البدء . رمز بداية لكى يكملها غيره من الناس!

وأخيرا ظهرت حوادث تسمم للأطفال . وحادث التسمم,هو إشارة لما سوف يصيب الأطفال بعد ذلك . . أو مقدمة لما سوف يجرى فى دمائهم . ومات عشرات الأطفال . فماذا كانت النتيجة؟ ولا حاجة . وسوف يموت أطفال من عروس المولد التى هى عروس الموت . . إن لم يموتوا بعفونة النيل أو برصاص السيارات . وبعد ذلك لا تسأل نفسك أو أحدا عن معنى المسئول الذى ليس مسئولا ولا يهمه أن يكون كذلك ؟ !

أنا لا أصدق!

صدق أو لا تصدق . . أنا أصدق . ولكن كثيرين لا يصدقون حقيقة هرب أخوين زوجين لابنتى صدام حسين . ويرون أنهما مجرمان وأنهما بهذا الهرب يحاولان التنصل من اشتراكهما فى المذابح والسجون وهتك الأعراض . . ولا يصدقون أيضا أن تكون تداعيات هذا الهرب فى العراق والأردن وأمريكا مجرد صدفة . . ولا يصدقون أن هذه العائلة كانت فى طريقها إلى بلغاريا . وأن يكون طلب اللجوء السياسى مفاجأة للملك حسين الذى فاجأ الرئيس كلينتون عند منتصف الليل فخلع عليه الحماية البرية والبحرية والجوية من قواته التى تصادف وجودها فى العقبة والبحر الأحمر والبحر الأبيض .

ولكنى أصدق ما حدث وأبدى إعجابى وتعجبى للملك حسين السياسى المدرب تدريبا عميقا . لأنه بسرعة تحول من صديق لصدام إلى صديق للشعب العراقى والسعودى والكويتى والأمريكى وليس مسئولا عن نشاط الأخوين حسين كامل حسن وصدام كامل حسن وأهم من كل ذلك أنه طلب معونة أمريكا وسوف تعطيه واشنطن حتى يرضى . وسوف يرضى .

أما (عدى) ابن الرئيس صدام فهو أجرأ وأكثر طيشا وعنفا ، فمن أجل أبيه يستبيح أى شىء حتى كاد يقتل العشيقة الألمانية

لوالده ، ولذلك لن يتردد لحظة فى قتل الأخوين حسين حسن وصدام حسن مادام لا يستطيع خطفهما إلى بغداد .

هل هى ضربة عنيفة لصدام حسين؟

من المؤكد أنها كذلك . . ولكنها ليست الضربة القاضية ، لقد أحدثت صدعا فى حزام الأمن العائلى القبلى حول الرئيس صدام وليس أمام الهاربين إلا أمريكا بعد استخراج المعلومات والأسرار العسكرية والصناعية والمالية والأمنية والدول التى ساعدت وتساعد . . وبذلك ينتهى دور هؤلاء الهاربين . ويصبح أملهم الوحيد أن يعيشوا بعيدين عن الأردن ، حيث يوجد ثلاثون ألفا من العراقيين الهاربين . أما أن الفريق حسين حسن سوف يخلف صدام فى موقعه فهذا ما لن تفعله أمريكا لأنها تريد انقلابا داخليا بلا نقطة دم إلا دم الرئيس صدام .

فما عيب هذين الأخوين فى نظر الرئيس كلينتون؟ لا عيب فيهما إلا أن دورهما لم يكد يبدأ حتى انتهى ، فهما عازفان فى الأوركسترا الدموى للرئيس صدام !

السياحة علاج ..

(١)

القرية السياحية العلاجية (حمامات فرعون) تبعد ٢٥٠ كيلو مترا عن القاهرة و ٥٠ كيلو مترا عن سودر . فما الذى هناك؟ هناك عيون كبريتية ساخنة ترتفع حرارتها إلى ٧٢ درجة مئوية وأكثر . وقد درس الخبراء النمساويون قبل أن يضعوا أيديهم فى أيدى المصريين ويضعوا الطين والرمل فى أيدينا وأرجلنا وحول عظمنا ، درسوا الماء والهواء والرمل وانكسار الضوء والمعادن الموجودة فى الماء والشاطئ . وتمت أقوالهم وأمضوا العقود لكى يبدأ البناء والتنفيذ . وقد بدأ كل شىء من أجل قرية سياحية عالمية ومركز لعلاج الروماتيزم والروماتويد والأمراض الجلدية . وسوف يكون هناك غرف وأجنحة وشاليهات وفلل . وسوف تكون (حمامات فرعون) منتجعا سياحيا أولا وعلاجيا من الدرجة الأولى . . ولن يضيق السائح ولا المريض فكلاهما ينشد الصحة فى مكان جديد جميل .

وسألت د . عبد العزيز بسيونى رئيس مجلس إدارة شركة مصر سيناء للسياحة ، فأكد لى أن هذا المشروع قد استغرق منه سنوات طويلة من الدراسة والتحضير ومواجهة كثير من المشاكل الروتينية التى تستنفد صبر أى إنسان مهما كان مصريا وطنيا مخلصا . ولكنه أصر على أن ينجح لكى يفتح بابا واسعا على السياحة

العلاجية فى مصر . وهى مؤهلة لذلك من مئات السنين وقادرة على أن تعود علينا بمئات الملايين من الهواء !

فى العام الماضى ذهبت إلى إحدى المصحات السويسرية . شىء جميل . وكل شىء له ثمن . كل ما تضع يدك عليه ، وما تلمسه له ثمن . . تجارة كسبانة مئات فى المائة . . إذا لمست القبعة أو الطاقية أو القفاز أو البشكير أو الصابونة . . إذا اقتربت من حنفيات المياه الساخنة وإذا خرجت . . وإذا وإذا . . فأنت طول الوقت تدفع . . والناس يفعلون ذلك بلا تردد مادامت الصحة هى نتيجة هذه المصاريف . !

وسوف تكون حمامات فرعون هى البداية العالمية المؤكدة للخبرة النمساوية المعروفة دوليا . على رمال ومياه وهواء مصر المشهورة من ألوف السنين !

ولن يفسد هذا الجمال إلا نحن أيضا .

فسوف تظهر مشاكل بيروقراطية تعطل الماء النقى وحرارة التليفون والفاكس وحركة الزوارق . . وظهور واحد موظف وقد وضع يده فى جيبه ليقول لسائحة على كرسى له عجلات : فتشوها لقد سرقت قطعة من الشعب المرجانية !

وليس هذا إلا مثلا تافها سوف نخسر بسببه الملايين ؟ !

(٢)

كل سياحة علاج ، ولكن ليس كل علاج سياحة . . فأنت عندما تترك بلدك وتذهب إلى الشاطئ فهذا هو العلاج : تغيير الوجوه والأماكن والسلوكيات والهواء والبحر والهدوء وأشعة الشمس وأن تمشى على مهلك وتنام وتقوم وتأكل وتهضم وتؤجل «القرف» من حياتك ومن الذين حولك عدة أيام ـ هذه هى السياحة العلاجية !

وأن تذهب إلى حيث المياه الكبريتية الفوسفورية وحيث الرمال تنعكس عليها أشعة الشمس وحيث النظام فى الأكل والنوم فى إحدى المصحات أو بالقرب من العيون المعدنية . . وأن تغطس فى الرمل والطين ساعات . . ففى ذلك شفاء من أوجاع العظم والمفاصل و «أكلان» الجلد . . وعندنا فى مصر أماكن كثيرة للعلاج الطبيعى بالمياه المعدنية والكبريت والرمل والطين وأشعة الشمس . . فى مصر حوالى ١٥٠٠ عين معدنية ترتفع فيها درجة الحرارة إلى حوالى سبعين مئوية كان ذلك فى حلوان ـ رحمة الله عليها وعلى أهلها ـ ومنذ أيام الفتح العربى لمصر ،كانوا يتزاحمون على عيون حلوان طلبا للعلاج . وكان الشفاء فى النهاية . وقد عولج فيها عبد العزيز بن مروان من شلل الأطفال وشفاه الله أيضا وأسوان بعد بحيرة ناصر والسحب والأمطار والرطوبة ، لم تعد ذلك المشتى المثالى .

فليس أمامنا الآن إلا البحر الأحمر وشواطئ سيناء . ففى البحر الأحمر أماكن للعلاج الطبيعى . . هكذا قال الخبراء الألمان عن منطقة سفاجة . .

ومصر الآن مقبلة على مشروع جبار نموذجى مستعينة بالخبراء النمساويين الذين لهم شهرة عالمية فى ذلك . . منذ أيام محمد نسيم باشا الذى تزوج ملكة جمال النمسا ابنة المليونير (سخر) صاحب الفندق والتورتة المشهورة بهذا الاسم فى فيينا . . فى ذلك الوقت وجد محمد نسيم باشا العلاج الطبيعى فى المصحة وفى الزواج !

والمشروع النمساوى سوف يكون حول (حمامات فرعون) على ساحة من الأرض تبلغ مليون متر مربع . .

فقد درست شركة مصر سيناء للسياحة هذا المشروع من خبراء من ألمانيا وإيطاليا . وأكد الخبراء جميعا أن منطقة حمامات فرعون هى المكان الذى يحلم به الأوروبى والأمريكى والمصرى أيضا . .

اشرب البحر !

لابد أن نشرب من البحر . . وكان هذا التعبير شتيمة فيما مضى فكنا نقول : إذا لم يعجبك هذا فاشرب من البحر . . وقد قالها الرئيس عبد الناصر للأمريكان : إذا لم يعجبهم فليشربوا من البحر الأحمر والأبيض والأسود .

ولم تعد إهانة بل كانت نبوءة فنحن الآن نتمنى أن نشرب من البحر لأن ماء النيل لم يعد كافيا وأنه أكثر تكلفة من ماء البحر . . فأهالى الغردقة ليسوا قادرين على شرب ماء النيل الذى يجىء فى الأنابيب من قنا . وهذه الأنابيب تتعرض لقرصنة فى الطريق ويقال : إن البدو يثقبون هذه الأنابيب وتتدفق المياه لتشرب الأغنام والإبل . . ثم تتحول الأرض إلى مزارع صغيرة . ولا أحد يعرف من المسئول عن هذه الأنابيب أهى محافظة قنا أو محافظة البحر الأحمر وقد ضاع المال والماء والأمن بين هاتين المحافظتين . ولكى نصلح هذه الأنابيب فنحن فى حاجة إلى مئات الملايين من الجنيهات .

ولكن إذا نحن قمنا بتحلية مياه البحر الأحمر ، فالتكاليف أقل وبعض القرى السياحية لها محطات للتحلية والأفضل أن تكون هناك محطات كبرى للجميع وموجود فى الغردقة محطة كبرى ولكن نظرا لأن الدولة خفضت سعر متر الماء ، فإن هذه المحطة قد

أنقصت إنتاجها ، لكى تنقص خسائرها أيضا . تمهيدا لإغلاقها أو بيعها - المحطة يملكها البليونير السعودى الشيخ صالح كامل .

فنحن نشرب من البحر ، ونتمنى لو نستطيع ، ونسبة الملوحة فى ماء البحر هى حوالى ٣٥ ألفا فى المليون . ولا يكون الماء صالحا للشرب إلا إذا انخفضت النسبة إلى ٥٠٠ فى المليون - (ملحوظة : يقال : إن الماء الذى نشربه فى القاهرة نسبة الملوحة فيه ما بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ فى المليون) يعنى إيه ؟ اسأل أنت!

أما الماء المقطر بطريقة (أكوا مصر) فقد نقص منه الملح وأملاح أخرى كثيرة وبعض هذه الأملاح مفيد صحيا ولكن من أجل التخلص من الرواسب الرملية والجيرية والظلطية والحديدية والطفيليات والعفونة كان التقطير هو الحل الأسلم ولابد أن يقال للناس ، كل الناس ، إنه لابد من غلى الماء لابد ، أو لابد من وضع منخل أو قماش تحت الحنفية .

الفهـــرس

كتب للمؤلف

(ا) ترجمة ذاتية:

١ - فى صالون العقاد كانت لنا أيام
٢ - عاشوا فى حياتى
٣ - الا قليلا
٤ - طلع البدر علينا
٥ - البقية فى حياتى
٦ - نحن أولاد الغجر
٧ - من نفسى
٨ - حتى أنت يا أنا
٩ - أضواء وضوضاء
١٠ - كل شىء نسبى
١١ - شارع التنهدات
١٢ - أمى .. ابنها!
١٣ - أول مرة

(ب) دراسات سياسية:

١ - الحائط والدموع
٢ - وجع فى قلب اسرائيل
٣ - الصابرا (الجيل الجديد فى اسرائيل)
٤ - عبد الناصر - المفترى عليه والمفترى علينا
٥ - فى السياسة (ثلاثة اجزاء)
٦ - الدين والديناميت
٧ - لا حرب ولا سلام فى أكتوبر
٨ - السيدة الأولى
٩ - التاريخ انياب واظافر
١٠ - محمد (ﷺ) أعظم الخالدين.
١١ - لعنة الفراعنة
١٢ - على رقاب العباد
١٣ - ديانات اخرى
١٤ - وكانت الصحة هى الثمن
١٥ - الغرباء
١٦ - الخبز والقبلات
١٧ - مواقف (٣ أجزاء)
١٨ - انتهى زمن الفرص الضائعة
١٩ - قال لى الرئيس
٢٠ - نار على الحدود

(جـ) قصص..

١ - عزيزى فلان
٢ - هى وغيرها
٣ - بقايا كل شىء
٤ - يامن كنت حبيبى
٥ - قلوب صغيرة
٦ - فوق الركبة
٧ - هذه الصغيرة (وقصص اخرى)
٨ - عريس فاطمة
٩ - يوم بيوم
١٠ - أنها الاشياء الصغيرة

(د) نقد أدبى:

١ - يسقط الحائط الرابع
٢ - وداعا ايها الملل
٣ - كرسى على الشمال
٤ - ساعات بلا عقارب
٥ - مع الاخرين
٦ - شىء من الفكر
٧ - لو كنت ايوب

٨ - يعيش . . يعيش . .
٩ - الوجودية
١٠ - عذاب كل يوم
١١ - طريق العذاب
١٢ - وحدى . . ومع الاخرين
١٣ - مالاتعلمون
١٤ - لحظات مسروقه
١٥ - كتاب عن كتب
١٦ - انتم الناس ايها الشعراء
١٧ - أوراق على شجر
١٨ - فى تلك السنة
١٩ - دراسات فى الادب الامريكى
٢٠ - دراسات فى الأدب الالمانى
٢١ - دراسات فى الادب الايطالى
٢٢ - فلاسفة وجوديون
٢٣ - فلاسفة العدم
٢٤ - أظافرها الطويلة
٢٥ - كيمياء الفضيحة

(هـ) رحلات :

١ - حول العالم فى ٢٠٠ يوم
٢ - بلاد الله خلق الله
٣ - غريب فى بلاد غريبة
٤ - اليمن ذلك المجهول
٥ - أنت فى اليابان وبلاد اخرى
٦ - اطيب تحياتى من موسكو
٧ - اعجب الرحلات فى التاريخ

(و) مسرحيات كوميدية :

١ - مدرسة الحب
٢ - حلمك ياشيخ علام
٣ - مين قتل مين
٤ - جمعية كل واشكر
٥ - الاحياء المجاورة
٦ - سلطان زمانه
٧ - حقنة بنج
٨ - العبقرى
٩ - الكلام لك ياجارة . .
١٠ - شين ٣

(ز) مسرحيات مترجمة :

*** للاديب السويسرى ديرنات :**

١ - رومولوس العظيم
٢ - زيارة السيدة العجوز
٣ - زواج السيد مسيسبى
٤ - الشهاب
٥ - هى وعشاقها
٦ - هبط الملاك فى بابل

*** للاديب السويسرى فريش :**

١ - أمير الاراضى البور
٢ - مشعلو النيران

*** للاديب الفرنسى جان جيرودو :**

١ - من اجل سواد عينيها

*** للاديب الامريكى ارثر ميللر :**

١ - بعد السقوط

*** للاديب الامريكى تنسى وليامز :**

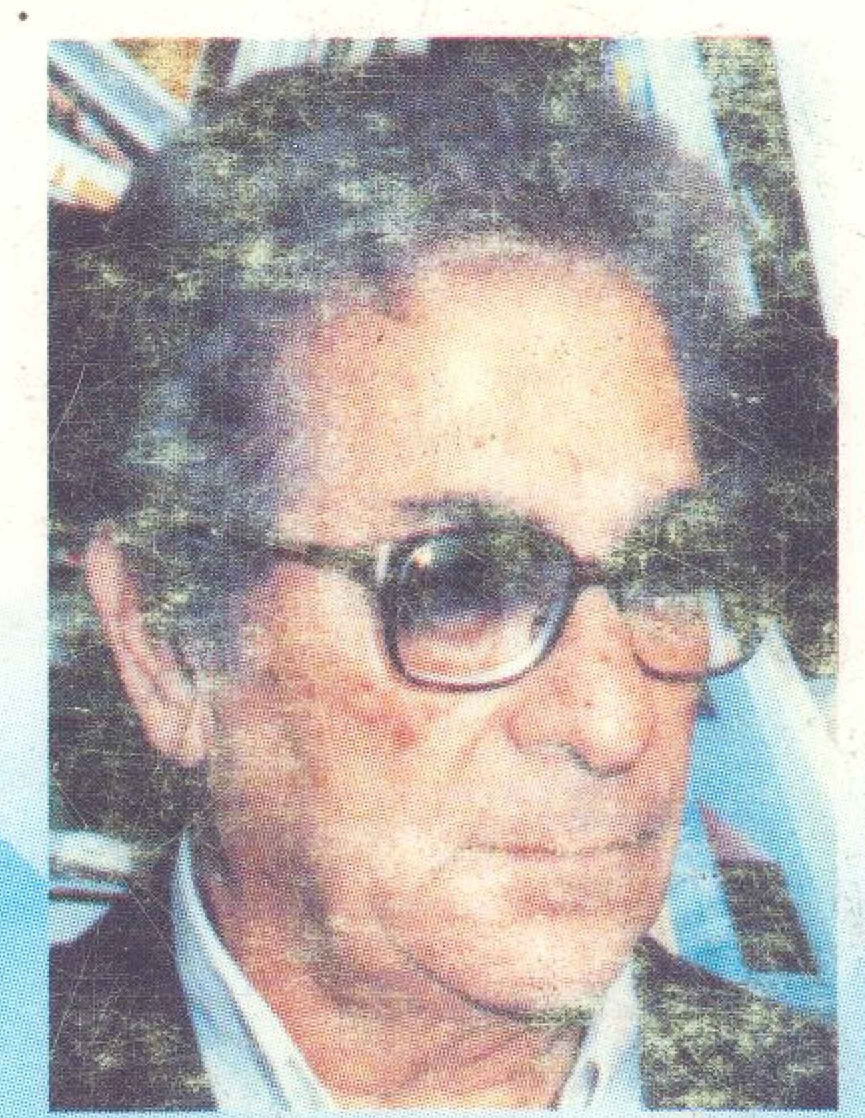
١ - فوق الكهف

*** للاديب الامريكى يوجين اونيل :**

١ - الامبراطور جونس

*** للاديب الفرنسى يوجين ليونسكو :**





اللهم إنى سائح

اللهم إنى سائح. بين الأشياء والنبات والحيوان والناس.. بين الذى أراه تحت الميكروسكوب والذى أراه أمام التلسكوب. والذى لا أراه ولكن أحسه فى عقلى وقلبى.. اللهم إنى رائح وراء عظمتك وحكمتك وما أودعت فى الحياة من قوانين، وفى كل حى.. وفى كل ما ليس حياً أيضاً.

إنى لا أملّ الفرجة على فيلم عندى عن (الخلية الحية) فأنا بين لحظة وأخرى أقول: «الله» ما أعظمك.. ما أحكمك.. ما أغناك.. ما أروعك يا الله.. ما هذا الذى فى داخل خلية واحدة؟!! ما هذا الذى فى جزء على ألفا.. وفى جزء على مليون ألف مليون.. وعلى مليون مليون.. مهما تجزأت الخلية.. الواحدة فهناك قوة تحركها وتفرض عليها قوانين القدرة الإلهية.. كيف؟ إننا ننبهر عندما نعرف أن مصنع سيارت ينتج ألفاً أو عشرة آلاف سيارة فى اليوم أو حتى فى الساعة.. ما قيمة هذا إذا ما قورن بملايين البيض والحيوانات المنوية التى تتدفق من السمكة ومن الإنسان وكل واحدة منها كائن حى كامل.. عنده استعداد قدرى لأن يكون كائناً فيه كل صفات الأب والأم..

إن أهون ما نراه هو الذى ندركه بعيوننا.. أما الذى لا نراه إلا تحت الميكروسكوب والتليسكوب وفى أنفسنا فهو الأعظم والأروع.. آمنت بالله!



